قررت وزارة المعارف العمومية الرواية الانجليزية لامتحان الشهادة الثانوية هذا العام



رواية يوليوس قيصر لشكسبير

تمثل ثوران الحمية الوطنية فى نفوس الشعوب الناهضة الى الديموقراطية
مزينة بالصور مذيلة ببحث تحليلى لاشخاص الرواية



تعريب

محمد حمدى بك

ناظر مدرسة التجارة العليا وأستاذ الترجمة بمدرسة المعلمين العليا سابقا

الطبعة الثالثة

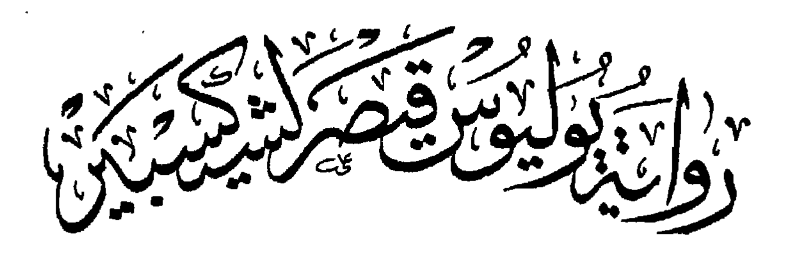
ص ٨

تطلب من مكتبة مطبعة مصر

١٩٢٨

م . مصر ١٧٧٢/٣٠٠٠

قررت وزارة المعارف العمومية الرواية الانجليزية لامتحان الشهادة الثانوية هذا العام



* مزينة بالصور مذيلة ببحث مسهب مترع بالنظرات التحليلية لأشخاص الرواية وحوادثها من قلم النابغة الكاتب محمد كامل سليم بك سكرتير البرلمان *

تعريب

محمد حمدي بك

ناظر مدرسة التجارة العليا
وأستاذ الترجمة بمدرسة المعلمين العليا سابقا



﴿ الطبعة الثالثة ﴾

تطلب من مكتبة مطبعة مصر

١٩٢٨

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

***

هذه ترجمة تكاد تكون حرفية فلم نترك لفظاً مبهماً أو عبارة أو تشبيهاً أو كناية أو مجازا الا عربناه على أصله ولم نحد عن ذلك الا فى مواطن معدودة كنا نخشى فيها الابهام أو العجمة . فجاء التعريب بيّن المنهج مطرد السياق صورة حقه للوضع الانجليزى ندرك منها جلالة مؤلفه ومنشئه مع ما اتصف به من الحصافة التى لا تساوى والفصاحة التى لا تدانى والقدرة التى لا تسامى والخيال الذى لا يطاول والشاعرية فى بسوقها وسموقها وحلينا الكتاب ببعض الصور فى أشهر المواطن لما علمناه بالتجربة أنها أشرح للصدر وأوقع فى النفس وأدور فى الخلَد وأخلد فى الذهن

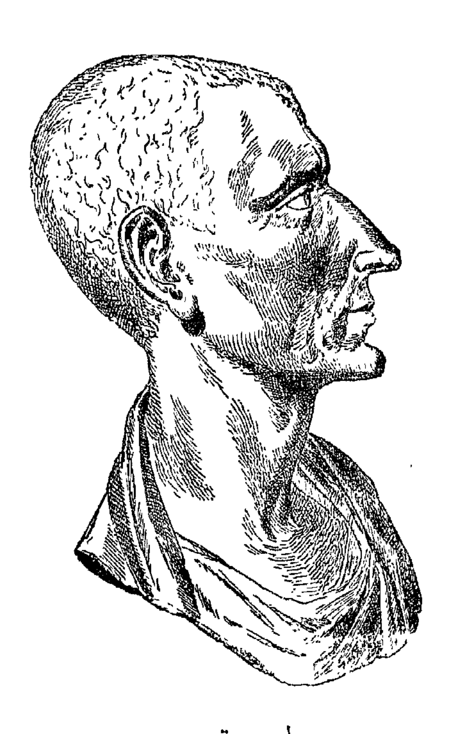


وليام شيكسبير
الشاعر الروائى الانجليزى الديمقراطى
ولد سنة ١٥٦٤ وتفى سنة ١٦١٦

شيكسبير

يمتاز شيكسبير بأنه شاعر الطبيعة ومعنى ذلك أنه يبرز أمام قرائه مرآة صافية يريهم فيها مثالا صحيحاً من متداول الأخلاق وواقع شؤون الحياة فاذا صور أشخاصاً كان تصويره حقا صراحا خاليا من شوائب الافراط والاغراق فلا يخصهم بأطوار وعادات تربطهم بأمكنة معينة يشذ عنها مادونهم من الناس ولا يعينهم بخصائص فى درس أو فن أو علم أو عمل لا تسرى الا على النزر اليسير من البشر ولا يميزهم بعارض من الحوادث أو بارق من الفكر غير معروف أو مألوف وانما يمثلهم على أنهم سلالة صحيحة من الأجناس البشرية التى يأتى بها الوجود فى كل زمان والتى لا تغيب أبداً عن الحس والعيان فاذا قالوا أو فعلوا اندفعوا الى ذلك بنفس عوامل الأهواء وبواعث الشهوات التى تجيش بها نفوس البشر كافة والتى كانت مدار الحياة البشرية فى حركتها ونظامها الى الآن وبالجملة فالشعراء يصورون الشخص على أنه فردٌ فذ أما هو فيمثل فيه أناسىَّ كثيراً ذلك شيكسبير قول الحق .

محمد حمدى



يوليوس قيصر

عظيم الرومان ولد سنة ١٠٠ وقتل سنة ٤٤ ق م

أشخاص الرواية

يوليوس قيصر

مجلس الثلاثة بعد موت يوليوس قيصر:
- اكتافيوس قيصر
- انتونى
- ليبداس

اعضاء فى مجلس الاعيان:
- شيشرون
- بيلياس
- پوبلياس لينا
- بروتاس

متآمرون على قتل يوليوس قيصر:
- كاشياس
- كاسكا
- تريبونياس
- ليجارياس
- ديشياس
- متالاس سمبر
- سنا

شيخان:
- فليفياس
- مرالاس

أستاذ بلاغة: ارتميدوراس

عراف

شاعر: سنا

أصحاب بروتاس وكاشياس:
- لوسلياس
- تيتينياس
- ميسالا
- كاتو الصغير
- فلامنياس

خدمة بروتاس:
- فارو
- كليتاس
- كلوديوس
- استراتو
- لوشياس
- داردينياس

خادم كاشياس : بنداراس

زوجة قيصر : كالبيرنيا

زوجة بروتاس : بورشيا

الفصل الأول

المنظر الأول

شارع في روما . يدخل فليفياس ومرالاس وبعض الاهالى

فليفياس : ارجعوا الى دياركم أيها الكسالى الخاملون انصرفوا الى منازلكم أيها الغواة المفسدون هل نحن الآن فى عطلة ألستم من أهل الصناعات وذوى الحرف فلا يجوز لكم أن تسيروا فى يوم العمل من غير أن تحملوا شعاره قل لى أنت . . . ما صناعتك

أحد الاهالى : أنا ياسيدى نجار

مارالاس : وأين مسطرتك ونفاضك وما تبغى الآن بلبسك أحسن ثيابك وأنت يا هذا . . . ما هى حرفتك

رجل ثان : انك يا سيدى لو قارنتنى بالصناع ذوى الحرف الدقيقة الأنيقة فما أنا الا كما يقول سيدى « اسكاف »

مارالاس : ولكن ما عملك . . . قل وأوجز

الرجل الثانى : هى حرفة ياسيدى أرجو أن أؤديها بذمة طاهرة ألاَ أنها مهنة « الترقيع »

مارالاس : قل لي أيها الوغد وأفصح القول ما هى مهنتك

الرجل الثانى : مهلا ياسيدى لا تحنق على لأن فى امكانى . . . . أن أرقع لك . . .

مارالاس : وماذا تعنى بذلك ! ! بل ما ذا ترقع لى أيها الوقح السافل

الرجل الثانى : أرقع لك ياسيدى . . . حذاءك

مارالاس : أنت اسكاف أليس كذلك

الرجل الثانى : نعم ياسيدى ليس لى ما أعيش به الا « المخراز » انى لا أتدخل فى شؤون التجار ولا فى مهام النساء وانما أعيش « بالمنخاس » انى ياسيدى فى الواقع وعلى الحقيقة ، جراح النعال العتيقة ، أنقذها من الهلاك وكم من السادات المتأنقين ، قد نعّلتهم هذه اليمين

فليفياس : ولكن لماذا لست فى حانوتك اليوم ولماذا تقود هذه الفئة وتطوف الشوارع بها

الرجل الثانى : أعمل ذلك ياسيدى كى تحفى منهم النعال ، فتكثر لدى الأعمال بل الحقيقة اننّا قد عطلنا أعمالنا كى نحظى برؤية قيصر ونحتفل بظفره وانتصاره

مارالاس : ولمــاذا تحتفلون وأى ظفر أو فوز رجع به وأين الأسرى التى قادها الى رومه تحف بركبه أو تسير فى موكبه واهاً لكم ياأحجار ياأصنام يا أشباح بلا أرواح ياقساة القلوب وياغلاظ الأكباد ألا تذكرون «پومبى» فكم امتطيتم الجدران وتسورتم القـلاع وملأتم النوافذ واعتليتم ذرى المداخن تحملون أطفالكم فى أحضانكم وتقضون سحابة اليوم كله فى انتظار طويل وصبر جميل كي تحظوا برؤية البطل الكبير «پومبى» وهو مار بشوارع رومه حتى اذا لاحت لكم مركبته من بعدٍ سحيق هللتم تهليلا وهتفتم هتافا طويلا راع « تيبر » فكان ينتفض بين شاطئيه وهو يسمع صدى اصواتكم يتردد فى ثنايا ساحله فهل بعد هذا تتحلون بأفخر أزيائكم وتعطلون اليوم أعمالكم وتنثرون رياحينكم فى طريق من رجع فائزاً منصوراً على أولاد پومبى كلا ثم كلا ارجعوا الى دوركم وخروا لأذقانكم



« ارجعوا الى دياركم أيها الكسالى الخاملون . . . . . »

وابتهلوا الى آلهتكم أن تدفع البلاء الذى لا محالة حائق بكم لنكرانكم وكفرانكم

فليفياس : انصرفوا أيها الاخوان واجمعوا التعساء امثالكم ثم اهرعوا الى شواطىء « تيبر » وهناك أذرفوا دموعكم حتى تمتلىء أواطيه فتتساوى بأعاليه وبذلك تكفرون عن هذه السيئة وتمحون عنكم هذه الخطيئة

* تخرج جميع الاهالى *

ألم تر أن أخسهم قدراً وأحطهم فكراً قد بلغ التأثير أعماق قلبه فانفضوا جميعاً يتعثرون فى أذيال الخجل لا ينبس أحدهم ببنت شفه فاذهب أنت من هذه الوجهة الى دار الحكومة وأنا ذاهب من هذه واذا رأيت شيئاً من تماثيل قيصر فانزع كل ماتراه عليها من شعار العبودية وشارات التبجيل والتقديس

مارالاس : وهل يحق لنا ذلك ونحن فى عيد « لوبركال »

فليفياس : هذا لا يهم اذهب ولا تجعل على التماثيل أثرا ينطق لقيصر برفعة وانتصار أما أنا فسأجول فى الشوارع أطرد العامة منها وكذلك تفعل أنت أينما

وجدتهم متجمهرين — ذلك الريش النامى الذى نقصه من جناح قيصر يهبطه الى مصافنا والا حلّق فوقنا علوا وعتوا فيرغمنا على أن نعيش فى ربق الأسر وذلة الاستعباد

المنظر الثانى

* مجتمع عام . يدخل قيصر . وانتونيوس على أهبة السباق . كالبيرنا. بوريشيا . ديشياس . شيشرون . بروتاس . كاشياس . كاسكا . وزحام شديد فيه عراف *

قيصر : كالبيرنيا !

كاسكا : صه . قيصر يتكلم !

قيصر : كالبيرنيا !

كالبيرنيا : لبيك يامولاى

قيصر : قفى تماما فى طريق «انتونيوس» حينما يجرى سباقه . . . أنتونيوس!

انتونيوس : مولاى

قيصر : لا تنس يا أنتونيوس وأنت فى سرعتك أن تلمس كالبيرنيا لأن أسلافنا يقولون ان العاقر تبرأ من عقمها إذا ما لمسها أحد فى هذا السباق المقدس

أنتونيوس : سأذكر ذلك يامولاى فلك الأمر وعلينا الطاعة

قيصر : انطلق ولا تقصر

عراف : قيصر !

قيصر : صه . من ينادينى

كاسكا : سكون تام !

قيصر : هل فى ذلك الجمع المحتشد من يناديني انى أسمع صوتا أجلى من النغم يصيح « قيصر » من أنت تكلم إن قيصر قد التفت يعيرك سمعه

عراف : اياك واليوم الخامس عشر من آذار !!

قيصر : مَنِ الرجل ؟

بروتاس : هذا عراف يحذرك اليوم الخامس عشر من آذار

قيصر : أحضروه أمامى كى أطلع على وجهه

كاشياس : أيها الرجل ابرز من بين الجمع وامثل أمام قيصر

قيصر : ماذا قلت لى الآن أعده على

عراف : إياك واليوم الخامس عشر من آذار !!

قيصر : انه يهذى فاتركوه هيا بنا

* موسيقى . . يخرج الجميع الا بروتاس وكاشياس *

كاشياس : ألا تود أن ترى السباق وحاله

بروتاس : لا لست بذاك الذى يرغب فى رؤيته

كاشياس : ألح عليك فى الذهاب معى

بروتاس : لست محبا للهو واللعب وإنى لفى حاجة الى بعض ما لأنتونيوس من الهشاشة والبشاشة ولكنى يا كاشياس لا أحول بينك وبين رغبتك فى الذهاب فهأنذا أتركك

كاشياس : أراك يابروتاس مدبراً عنى بعطفك هذه الايام فلست أقرأ فى

عينيك تلك الرقة والوداعة بل ذلك الحب الخالص الذى كان يفيض منهما نحوى
فلماذا قد أصبحت تظهر الصد والجفاء لصديق يحبك ويجلك

بروتاس : أرجوك يا كاشياس الا تحكم بظاهرى وإذا كان قد لاح لك منى
الصد والجفاء فما ذلك الا لأنى أريد أن أكظم غمى وأدارى همى فى نفسى
فلا أحب أن يشاركنى فيه أحد انى منذ أيام تساورنى الأحزان والأشجان
ولكنها هموم خاصة بى أنا وحدى وهى التى شوهت من سلوكى الظاهر مع اخوانى
ولكن كاشياس وسائر أصحابى الأصدقاء يجب ألا يتألموا من ذلك كما يجب ألا
يأولوا هـذا الجفاء من الآن فصاعداً ـ الا بأن بروتاس المسكين يجاهد فى شقاء
باطنى فينسى مظاهر الألفة والمحبة فلا يبديها لاخوانه وأخدانه

كاشياس : اذن يابروتاس لقد أخطأتُ خطأً كبيراً فى تأويل أوجاعك وآلامك.
ومن أجل ذلك كتمت فى صدرى هذا أسراراً هامة وأموراً خطيرة . . . قل
لى يا بروتاس هل ترى وجهك الآن ؟

بروتاس : لا يا كاشياس لأن العين لا ترى نفسها الا بمرآة

كاشياس : لقد أصبت وانه ليحزننا يا بروتاس أنك لا تجد تلك المرآة التى
ترى فيها بعينيك ما قد خفى عليك مما أنت به حرى من الفضل والسؤدد وكم
سمعت أشراف رومه الا ذلك المتأله قيصر يئنون تحت نير الاستعباد والاسترقاق
ويتمنون لو أن لبروتاس تلك الأعين التى يرى بها نفسه

بروتاس : انك لتجرنى ياكاشياس الى خطر مستطير فتجعلنى أتطلب لنفسى
ما لست به جديراً

كاشياس : اذن يابروتاس أعرنى سمعك واذ قد اعترفت بانك لا تقدر
أن ترى نفسك حق الرؤية الا بمرآة فلأكن أنا مرآتك أريك بلا مغالاة كل ما

تجهله عن نفسك ولكن ايك أن يتسرب الشك فى الى فؤادك الرقيق لأنى لوكنت دعابا مجانا أوحلافا مهينا أبذل محبتى الى كل من يدعى صداقتى وأخدع الناس بالرياء والدهان حتى اذا حصلت على مودتهم وتبينت صدق طويتهم صدفت عنهم أغتابهم وأنم بهم لكنت خليقا بمجانبة الأصدقاء وقطعية الأوفياء أو اذا كنت تعهد فىّ التطفل وامتهان النفس وابتذال السيرة فقاطعنى واعتبرنى شر الأشرار وخطراً من الأخطار

* موسيق وهتاف من الداخل *

بروتاس : ما معنى هـذا الهتاف انى لأخشى أن يكون قد وقع اختيار الشعب على قيصر فيتخذونه ملكا

كاشياس : وهل تخشى ذلك اذن أنت لا ترضى مثل هذا العمل

بروتاس : كلا يا كاشياس أنا لا أرضاه أبداً مع أنى أحب قيصر حباً جماً * ولكن لماذا قد أمسكتنى معك هذه المدة الطويلة وما هو ذلك السر الذى تحب أن تودعنى اياه اللهم إن كان شيئاً فى صالح البلاد والمنفعة العامة فانى أضع الشرف نُصب احدى عينى والموت نُصب الأخرى وأقدم بلا تردد ولا احجام والله أسأل أن يوفقنى الى الخير بقدر محبتى للشرف واستهانتى بالمنون

كاشياس : أعرف هذه الفضيلة فيك يابروتاس أعرفها كما أعرف شخصك وإن الشرف لهـو موضوع حكايتى معك الآن لا علمَ لى بما تراه أنت أو يراه غيرك فى هذه الحياة ولكنى أنا أفضل الموت على أن أرانى مهددا مروعا من آدمى مثلى لقد ولدت حراً مثل قيصر فأنا وهو فى حق التمتع بالحرية سواء وكذلك أنت كلانا يأكل مما يأكل وفى استطاعته أن يتحمل من قوارس البرد وأنواع الشتاء ما يتحمله هو وأذكر ذات مرة فى يوم عاصف قاصف إذ كان «نهر تيبر» يعب عبابه وتزمجر أمواجه أن قال لى قيصر : هل عندك يا كاشياس من الشجاعة

والاقدام ما يرمى بك فى هذا البحر الزاخر واليم الخضم فتجتازه الى هنالك فلم يتم كلامه حتى قذفت بنفسى فيه بعدتى وسلاحى وطلبت منه أن يتبعنى ففعل ولم يتردد ثم ماج الماء وهاج فلاقيناه ببأس شديد وعضل من حديد وكافحناه بقلب لا يعرف الجذع وجلد يستنكر الهلع ولكنا قبل أن نبلغ القصد صرخ قيصر : أجرنى يا كاشياس والا غرقت! فانتشلته من غائلة الموج وحملته وهو خائر القوة خائر الهمة كما احتمل على عاتقه جدنا البطل «اينياس» والده الشيخ الكبير «انكايزيس» ونجا به من حريق «تروادة» هكذا فعلت بذلك «الانسان» الذى قد أصبح الآن «الها معبوداً» وأصبح كاشياس ذلك التعس الحقير الوضيع ليخر له ساجداً اذا مارنا اليه بطرفه

أصابته الحمى لما كان فى أسبانيا فكنت أراه اذا انتابته ينتفض من عُرَوائها أجل كان ذلك «الاله» ينتفض ويرتعد ذبلت شفة ذلك الجبان وذوى لونها وان تلك العين التى يفزع من نظراتها العالم بأسره قد حسر بصرها وكل نظرها ولقد سمعته يتأوه ويئن أنا وسمعت منه ذلك اللسان الذى طالما أمر الرومان أن يرقبوه ويدونوا مقاله فى الكتب سمعته وأسفى يقول : أعطنى شربة من الماء «ياتيتينياس» كما تقول الطفلة المريضة فواعجبى لتصرفات الزمان ! رجل هذه صفاته من الضعف والخور يصبح فى مقدمة الصفوف قابضاً على زمام العالم الراقى حاملا وحده لواء الرفعة والفخر !

بروتاس : وهذا صياح آخر لا ريب فى أن هذا الهتاف لتيجان فخر يلبسونها قيصر

كاشياس : أى رجل انه ليركب الخافقين كالتمثال الهائل فى حين أنا ندرج من بين ساقيه الغليظين ننقب عن قبور تبتلعنا لنوارى فيها خزينا وعارنا والانسان يا صديقى بروتاس بيده فى بعض الأحايين إسعاد نفسه وإشقاؤها

وليس الذنب على طالع منحوس أو نجم آفل وانما الذنب علينا نحن لاستلامنا ورضائنا الخسف والاعتساف : « بروتاس وقيصر ؟ » بحقك ماذا فى كلمة « قيصر » ؟ ولماذا يرن هـذا الاسم فى الاسماع ويتردد على الالسن أكثر من اسمك أكتبهما جنباً لجنب تجد أن اسمك لا يقل عن الآخر حلاوة وعذوبة أنطق بهما تجده عذباً فى الأفواه رقيقاً فى الشفاه كالآخر سواء أرزنهما تجدهما متماثلين أقسم بهما تجد أن اسمك كذلك يستفز الجان من عباقرها فقل لى ناشدتك جميع الأيمان من أى لحم يتغذى هذا القيصر حتى بلغ هذه الضخامة تبا لك يا دهر وواهاً لك يا رومه فقد فقدت أبناءك الاشراف قل لى : أى زمان لنا من عهد الطوفان قد قصر صيته على رجل واحد وهل سبق فى تاريخ رومه وعهودها أن فضاءها الرحب الفسيح لم يسمع الا رجلا واحدا وهل هى حقا رومه التى تفاخر بضخامتها وليس بها الا رجل واحد ! لقد كان ثمة بروتاس يكافح الجان ويرغم الأبالسة ليذود عن كرامته وليحفظ مكانته كما لو كان ملكا

بروتاس : أما أنك تحبنى فمما لا شك فيه وأما ما تغرينى عليه فسأتدبره وأتبصره ثم أكاشفك بعد بكل ما يسنح لى فى هذا المجال وهذى الحال والآن ألتمس منك بلسان المحبة ألا تثير شجنى وعواطفى أكثر مما فعلت فان ما قلته لى سأتروى فيه وما تعرضه علىّ فى المستقبل سأصغى اليه بصبر وانى سأتحين الفرص المناسبة لسماع هذه الأقوال الهامة والاجابة عنها والى ذلك الحين تمعن أيها الصديق النبيل فى كل ما قلناه واعلم ان بروتاس ليؤثر أن يكون جلفا قرويا على أن ينتسب الى رومه كأحد أبنائها فى مثل هذه الظروف الحرجة التى جرها الدهر علينا

كاشياس : يسرنى جداً أن أجد لعباراتى هـذه الطفيفة الضعيفة وقعاً فى نفس بروتاس قد أضرم فى فؤاده جذوة من نار الحماس أرتنا بصيص الأمل

بروتاس : لقد انقضت الألعاب وهذا قيصر راجع

كاشياس : اذا مروا علينا فجر كاسكا من كمه وهو يقص علينا بالرغم من حدة طبعه أهم ما دار هنالك اليوم

* يدخل قيصر وحاشيته *

بروتاس . سأعمل ذلك ولكن انظر ياكاشياس ان قيصر عابس مقطب الجبين والجميع فى أثره خاشعة أبصارهم كعبد مزدجر أو أسير منتهر . « فكالبيرنيا » كالحة الوجه صفراء « وشيشرون » ينظر شزرا بعينين حمراوين كما لو رأيناه فى دار الحكومة يجادل بعض الزعماء

كاشياس : ان كاسكا سيوافينا بفص الخبر

* * *

قيصر : أنتونيوس !

أنتونيوس : لبيك ياقيصر

قيصر : لا أريد من حولى الا رجالا سماناً غلاظاً مسبولة شعورهم ينامون الليل أما ذلك الرجل كاشياس فانه شخت الخلقة أرقش أرقم قد شحب وجهه ودق عظمه من الفكر وان أمثاله لأشد الناس خطرا ووبالا

أنتونيوس : لا تخش منه بأساً يا قيصر فانه ليس ضغيناً كما تظن انما هو رجل من أشراف الرومان رقيق الجانب

قيصر : ليته كان أسمن مما هو ولكنى لا أخشاه غير أنه لو كان مثلى ممن يخاف لما عرفت رجلا أمعن فى الهرب منه خوفاً من شره الا ذلك المزيل الأخمص كاشياس انه كثير المطالعة والدرس نقادة يسبر بصائب نظراته غور الأعمال وأعماق الرجال لا يميل الى اللهو واللعب مثلك يا أنتونيوس ولا يصبو

الى الموسيقى وقلما لاحت عليه ابتسامة وان بدرت منه واحدة فكأنه يسخر من نفسه أو يحتقر جنانه أن يلين فيبسم لشيء ما وأمثال ذلك دائما فى عذاب واصب تغلى صدورهم بنار الحسد والبغضاء اذا آنسوا من بزهم وفاقهم وهم من أجل ذلك خطر ووبال وانى انما أقول لك ما يهاب لا ما أهاب فانما أنا دائماً قيصر * تحول الى جهة اليمين لان هذه الأذن صماء ثم قل لى رأيك فيه صحيحاً

* موسيقى . يخرج قيصر وحاشيته الا كاسكا *



« غمزتنى بطرف عباءتى . . . »

كاسكا : أنت غمزتنى بطرف عباءتى فهل كنت تريد الكلام معى

بروتاس : نعم يا كاسكا قل لنا ماذا جرى اليوم ولماذا تظهر على قيصر سيما الحزن والكآبة

كاسكا : لقد كنتَ معه أليس كذلك

بروتاس : اذن ما كنت لأسأل كاسكا عما جرى

كاسكا : قدم الشعب اليه تاجاً فلما احضر بين يديه أنحاه بظهر يده مترفعاً عنه . . هكذا . . . عند ذلك طفق الناس يصيحون و يصخبون

بروتاس : ولماذا كانوا يصيحون فى المرة الثانية

كاسكا : وىْ إنه من اجل ذلك ايضاً

كاشياس : لقد هتفوا ثلاث مرات فلماذا كان الهتاف الأخير

كاسكا : انما كان من أجل ذلك أيضاً

بروتاس : هل قدموا له التاج ثلاث مرات ؟ !

كاسكا : أي وربي ورفضه ثلاث مرات كل مرة أرق وألطف من سابقتها وكل مرة كان أصحابنا يصيحون ويهتفون

كاشياس : ومن قدم ذلك التاج

كاسكا : انه بالطبع أنتونيوس

بروتاس : قل لنا كيف كان ذلك بحقك يا كاسكا

كاسكا: الشنق أهون عليّ من وصف هذا الحادث فقد كان كله جنوناً مطبقا فلم تسمح لى نفسى أن أعيره لفتة رأيت مارك أنتونى يقدم له تاجا — بل لم يكن تاجا حقيقيا وانما كان اكليلا صغيرا — ثم كما قلت لك رفضه مرة ولكنه على ما أظن كان يتمنى لو يأخذه بالرغم من تظاهره بالاباء ثم قدمه له أخرى فرفضه ثانية ولكنه على ما أظن كان يكره أن ينحى أصابعه عنه ثم قدمه له ثالثة فرفضه ثالثة وفى كل مرة يأباه كان أولئك الطغام الأوباش يصرخون ويصفقون بأياديهم المَجِلة ويرمون فى الهواء قبعاتهم الملوثة حتى ملأوا الفضاء بأنفاسهم الكريهة التى كاد يختنق منها قيصر وقد أغمى عليه من جرّائها أما أنا فلم أجسر على الضحك خيفة أن أفتح فمى فيدخل فيه من ذلك الهواء الخَمل

كاشياس : تمهل ياكاسكا وقل لى بحقك هل أغمى على قيصر

كاسكا : لقد خر أمامهم فأرغى فمه وفقد صوابه

بروتاس : هذا من المحتمل لأنه مصاب بداء التشنج

كاشياس : لا . . . لا . . . ان قيصر براء منه وانما انا وانت وصديقنا كاسكا المصابون بذاك الداء

كاسكا : لا أفهم مغزى ماتقول ولكنى على يقين من أن قيصر خر مغشيا عليه وأن أولئك الطغام السفهاء كانوا يهشون له ويبشون سواء أرضاهم أو أغضبهم كما يفعلون بالممثلين على المراسح — والا فلا تصدقونى ما دمت حيا

بروتاس : وماذا قال لما رجع الى صوابه

كاسكا : ويلاه انه قبل أن يغشى عليه رنا ببصره فلمح ذلك القطيع من العامة مهللا مكبرا له لرفضه التاج فجذبنى اليه لأفتح له صدريته ثم مد لهم رقبته ليقطعوا منه الحلقوم — ولعنة الآلهة علىّ لوكنت أحد هؤلاء الصناع وأمهلته لحظة دون أن أجهز عليه ولو استوجب ذلك دخولى النار مع الداخلين من الكفرة الفجار وبعدئذ خر مغشيا عليه ولما أفاق قال انه يلتمس الصفح والغفران من كرمهم وفضلهم اذا كان قد فرط منه سهوة أو هفوة بسبب وهنه وضعفه وكان من حولى اذ ذاك ثلاث عجائز أو أربع شمط يصرخن « واهاً لك ايتها النفس المطمئنة » ثم سامحنه ورضين عنه بكل جارحة فيهن مع انه لم يعبأ بهن أحد واذا كان قيصر قد طعن فى نحور أمهاتهن فما كن ليعملن أقل من ذلك

بروتاس : وهل بعد ذلك خرج كئيباً حزيناً

كاسكا : نعم

كاشياس : هل قال « شيشرون » شيئاً

كاسكا : نعم رطن باليونانية

كاشياس : وفى أى موضوع تكلم

كاسكا : لا أقول لأنى اذا أعدت لكم كلامه فانما أعيده بهتاناً وزوراً لا أستطيع من بعده أن أريكم وجهى وانما من فهموه كانوا جميعا يبسمون و ينغضون رؤوسهم أما من جهتى فقد كان كلامه طلاسم يونانية لم أفهمها ولدى خبر آخر أقصه عليكما ان « مارالاس وفليفياس » قد أودعا غياهب السجن لأنهما كانا ينزعان الأوشحة عن تماثيل قيصر * الوداع لكما لقد كان هنالك من السفه والخطل شيء كثير لا أذكره كله

كاشياس : أحب أن تتناول معى العشاء الليلة يا كاسكا

كاسكا : لا يمكننى ذلك لأنى قد دعيت من قبل

كاشياس : اذن تتغدى معى غداً

كاسكا : لك ذلك ان حييت أنا وتذكرت أنت وكان غداؤك يستحق الذهاب اليه

كاشياس : سأنتظرك غداً

كاسكا : الوداع * يخرج *

بروتاس : لله ما أخشن طبع هذا الرجل ! ولكنه كان مشهوراً بالذكاء وهو صبى بالمدرسة

كاشياس : وكذلك هو الآن اذا ركن اليه أمر خطير شريف فانه يؤديه رغم ما يلوح عليه من الغلظة والفظاظة بل إن الخشونة التى فى أخلاقه كالتابل تجعل فطانته وحصافته لذيذة مقبولة فيلتهم الناس كلامه سائغا شهياً

بروتاس : هو كما تقول والآن أتركك وإذا أردت أن تسرنى غداً فانى أزورك فى منزلك أو تعال أنت وسأكون فى انتظارك .

كاشياس : سأحضر اليك والى الملتقي تبصر فى حالنا وفكر فى مآلنا

* يخرج *

وَىْ بروتاس ! انك لشريف نبيل ولكنى أرى مقاصدك الشريفة يمكن تحويلها بكل سهوله الى غير مجراها وى إنه يجب الا يختلط النبلاء الا بأمثالهم فمن ذا الذى ياعزُّ لايتغير ان قيصر يبغضنى ويمقتنى ولكنه يحب بروتاس فلو كنت أنا بروتاس وكان بروتاس كاشياس لما قدر أن يلفتنى عما أنا عليه أو يجد إلى قلبي منفذا أوسبيلا * إنى الليلة أرمى له من نافذته جملة كتابات وجوابات بخطوط متنوعة كأنها واردة من أفراد الشعب يذكرون فيها ماله من المكانة السامية فى نفوسهم جميعاً ويلمحون الى جشع قيصر وطمعه ثم بعد ذلك ليطمئن قيصر فإنا خالعوه والا دارت علينا الدوائر

المنظر الثالث

* نفس المكان . شارع . برق ورعد . يدخل المرسح من جهتين متقابلتين كاسكا شاهرا سيفه من إحدى الجهتين وشيشرون من الاخرى *

شيشرون : عم مساء ياكاسكا هل شيعت قيصر الى منزله ـ لماذا تلهث ولماذا تحملق هكذا

كاسكا : ألا يهولك زلزال الأرض واضطرابها وعدم قرارها على حال انى ياشيشرون قد شاهدت من العواصف ما كانت رياحها تقتلع الدوحة من منابتها وشاهدت البحر وهو يتميز من الغيظ فيعب عبابه وترغى أمواجه فكأنما تناطح السحب الشماء رأيت كل ذلك ولكنى حتى الليلة بل الى هذه البرهة لم أشهد عاصفة تمطر نيراناً وشهباً فإما فى السماء حرب عوان بين العوامل الطبيعية على اختلافها وإما أن العوالم قد بلغت من قحتها أن استنفرت غضب الآلهة فصببن العذاب صباً

شيشرون : ولماذا هل شاهدت شيئاً خارقاً للعادة

كاسكا : رأيت أحـد الموالى — وانك لتعرفه لو رأيته — يمد يده اليسرى فـكانت تلتهب وتتقد كأنما هى عشرون مشعلا ومع ذلك فيده لم تلفحها النار بل لم تشعر بها كذلك رأيت منذ برهة — ولم أكد أغمد سيفى — أسداً ازاء دار الحكومة قد حدق بى ثم انساب بجانبى متبرما منى ولـكنه لم يمسسنى بسوء ورأيت شرذمة من النساء صفر الوجـوه من الخوف والذعر أقسمن أنهن أبصرن رجالا تـكتنفهم النيران يغدون ويروحون فى الشوارع والطرقات والبارحة كان البوم ينعق بصوته المشئوم فوق الأسواق فى رابعة النهار . . . فاذا حدثت هذه الخوارق مرة واحدة فهل بأبيك ياشيشرون يقبل من الناس ما يقولون من العلل والأسباب الطبيعية التى لا علاقة لها بالوقت الحاضر أما أنا فأعتقـد يقيناً أنها تنبىء عن أمر هام وخطب جلل سيقع فى العالم الذى هى فيه

شيشرون : حقاً ان زماننا هذا لأبو العجائب ولـكن الناس يؤولون الأشياء على حسب أهوائهم فينأون بها عن محجة الصواب — قل لى هل يأتى قيصر غداً الى الديوان

كاسكا : نعم وقد كلف أنتونيوس أن يحيطك علماً بذلك

شيشرون : اذن سعدت مساء يا كاسكا — ان هذا الجو العكر لا يصح أن نمشى فيه

كاسكا : استودعك الله ياشيشرون

* يخرج شيشرون ويدخل كاشياس *

كاشياس : من هناك

كاسكا : أحد الرومان

كاشياس : أنت كاسكا قد عرفتك من صوتك

كاسكا : أسيعٌ بك يا كاشياس — ولكن قل لى ماهذه الليلة الليلاء

كاشياس : انها ليلة زاهرة لجميع المخلصين من الرجال

كاسكا : ومن ذا كان يحلم بأن للسماء إرعاداً وإبراقاً كهذا

كاشياس : أولئك الذين يعلمون أن الأرض قد امتلأت بالمعايب والمخازى أما أنا فقد طفت فى أنحاء الشوارع معرضا نفسى لخطب الليلة المدلهم . . . هكذا . . كما ترانى يا كاسكا مفككا أزرارى فاتحا صدرى أستقبل الصواعق به وكلما أومض البرق فانشق له كبد السماء كنت أبرز نحرى فى وسط وميضه و شدة سناه

كاسكا : ولكن لماذا تجاهر الطبيعة بالعداء ان بنى آدم من شأنه أن يفزع وترتعد فرائصه اذا أخذه المولى القدير على غرة فأراه الآيات المريعة

كاشياس : انك لغبىّ ياكاسكا وإنه ليعوزك ذلك الذكاء الذى يتوقد فى قريحة كل رومانى أو ربما هو متوافر لديك ولكنك تتغابى وتطفىء جذوته أراك أصفر اللون تدور عيناك من الخوف وتعروك الدهشة أن ترى الطبيعة قد عيل صبرها وضاق ذرعها ولكن اذا أنعمت النظر فى أسباب هذه النيران وفى تلك الأشباح المتراوحة وهاتيك الطيور والوحوش على أنواعها وكيف سفِهت الكبار ورَصَنت الصغار وكيف تحولت جميع الاشياء عن أطوارها وخرجت عن كنهها وأتت أعمالا فى غاية الفظاعة والشناعة اذا أنعمت النظر فى هذا كله وجدت أن الطبيعة انما نفثت فيها تلك الروح تحذيراً ونذيراً من التمادى فى هذا السبيل السيّء فهل أذلك يا كاسكا على رجل أمر وأدهى من هذه الليلة الدهماء رجل يرعد ويبرق ويقبر ويزأر كذلك الأسد الذى ظهر فى الديوان وهو مع ذلك لا يمتاز عنى وعنك فى أفعاله بشىء ولكنه كبر وضخم حتى صار هائلا مريعاً مثل هذه الخوارق سواء بسواء

كاسكا : أنت تعنى قيصر ألیس كذلك

كاشياس : ليكن أيا كان فان للرومان الآن سواعد عضلة قوية كما كان لأسلافهم آه ولكن تبا لك يازمان فقد ماتت فينا هممهم أولئك الآباء الشجعان واستولى علينا وهنُ الأمهات وضعفهن وان ذلك النير الذى أصبحنا نئن تحته ليجعلنا نظهر فى الحقيقة مظهر النساء العاجزات اللاتى لا حول لهن ولا قوة

كاسكا : لقد سمعت الناس يتحدثون بان زعماء الدولة فى عزمهم أن يقروا قيصر على سرير الملك ويتوجوه براً وبحراً وفى كل مكان الا هنا ايطاليا

كاشياس : حينذاك أعرف أين أغمد خنجرى هذا حيث كاشياس يحرر كاشياس من ربقه الأسر والاستعباد وأنت يا إلهى تمد الضعيف بروح منك فتجعله أقوى الأقوياء أنت يا الهى تضرب على أيدى الظلمة فتهزمهم شر هزيمة انه لا حصنٌ منيع ولا سور مشيد ولا سجن معتم ولا الأغلال والأنكال بقادرة على ارغام النفوس اذا حاولت خلاصاً فاذا سئم الانسان هذه الحياة المكبلة بسلاسل العسف والجور فليس ثمة من قوة تحول بينه وبين فضها بالانتحار اذا كنت أنا أعلم ذلك فليعلم العالم طرا أن كأس الجور التى أتجرعها يمكننى تحطيمها فى أى وقت أشاء * رعد مستمر *

كاسكا : وكذلك أنا بل كذلك كل أسير بيده مفتاح حريته وخلاصه

كاشياس : ولماذا اذن قد عتا قيصر وتجبر ؟ مسكين أنت ! انه لم يصر ذئباً ضاريا الا لما رأى الرومان قطيعا من النعاج بل انه لم يتأسد الا لما رأى الرومان سربا من الوعول فلتعلم ان من يريد إشعال نار جامحة انما يضع جذوتها من القش الضعيف وما أضعفك ياروما وأوهاك وما أخسك وأدناك أن تكونى تلك الجذوة

الدنسة من ذلك النور الساطع الذى يضيء انساناً حقيراً مثل قيصر ولـكن الى أين أيها الحزن تدفعنى إذ ربما أكون مخاطباً أسيراً قد ألف الذل والاستكانة فأقع تحت طائلة القصاص ولكنى ياهذا مسلح مدجج والمخاطر عندى هباء

كاسكا : أنت تـكلم كاسكا تـكلم رجـلا لا يعرف الغمز واللمز هذه يدى أمدها لك فادع الى الخلاص تجدنى أول الملبين

كاشياس : اذن قد تم الاتفاق بينى وبينك فاعلم ياكاسكا أنى قد حرضت بعض أشراف الرومان لينضم الىّ فى عمل عاقبته خطرة وخطيرة فى آن واحـد وانهم الآن فى انتظارى برحبة « پومبى » لان فى هذه الليلة البهيمـة قد خشعت الأصوات وسكنت الحركات فى الشوارع ومظهر الطبيعـة كله ملائم للعمل الذى نحن بصدده دموى جهنمى فظيع

كاسكا : احتجب قليلا لانى أرى شبحاً قادما مهرولا الى جهتنا

كاشياس : انه سنا أعرفه بمشيته وهو من أصحابنا

* يدخل سنا *

يا « سنا » ! الى اين تهرول

سنـا : لأبحث عنك من ذلك الرجل ؟ متالاس سمبر ؟

كاشياس : انه كاسكا شريكنا فى جهادنا . هل الجمع كله فى انتظارى ؟

سنـا : يسرنى جدا انضمامه الينا ياالهول هـذه الليلة ! ان اثنين أو ثلاثة منا قد عاينوا عجباً

كاشياس : هل الجمع فى انتظارى ؟ — أجب

سـنا : نعم انهم ينتظرونك حبذا ياكاشياس لو تستميل الينا بروتاس

كاشياس : ليهدأ بالك خذ « ياسنا » هذه الأوراق واجتهد أن تضعها على كرسى بروتاس فى الديوان حيث يعثر عليها بمجرد حضوره واطرح هذه البطاقات من نافذته وبعدها ألصق هذا بالشمع على تمثال جده بروتاس فاذا فرغت فارجع الى رحبة « بومبى » تجدنا هناك هل حضر ديشياس وتريبونياس ؟

سنا : كلهم هناك الا « متالاس سمبر » فانه ذهب الى منزلك فى طلبك والآن أسرع أنا لأوزع الأوراق كما أشرت

كاشياس : اذا فرغت فارجع الى مسرح « بومبى » * يخرج سنا *
تعال يا كاسكا لنذهب معا الى بيت بروتاس قبل طلوع النهار فقد كدنا نتغلب على شعوره وسيتم لناجميعه فى مقابلة أخرى ان ينضم الينا و يصير واحداً من زمرتنا

كاسكا : ان له مكانة عالية فى قلوب الشعب فكل شين أو نقص يرى فينا يكسوه هو جلباباً من الفضيلة والكمال كما تفعل الكيمياء بالمعدن الخسيس

كاشياس : هو وفضله وحاجتنا اليه كل ذلك قد فهمته تمام الفهم فلنذهب الآن اليه ونحن فى الهزيع الأخير من الليل واذ نوقظه ونتأكد من ميثاقه قبل طلوع الفجر

الفصل الثانى

المنظر الأول

* روما . حديقة بروتاس . يدخل بروتاس *

بروتاس : يا « لوشياس ! » لا يمكننى أن أعرف من النجوم كم بقى من الليل عن طلوع النهار يا « لوشياس » ! عجيب أمرك ... يا ليت عيى كان أن أنام مثله وأستغرق فى سبات عميق ... « لوشياس لوشياس » اصح قم واستيقظ

* يدخل لوشياس *

لوشياس : أتنادى يا مولاى

بروتاس : أحضر لى شمعة فى حجرة المطالعة يا لوشياس فاذا أشعلتها تعال هنا وأخبرنى

لوشياس : سمعاً يا مولاى

بروتاس : لابد من موته ... ! ولكنى لا أجد فى نفسى مايحملنى على بغضه وعدائه سوى أنى مدفوع الى ذلك للمنفعة العامة وصالح البلاد انه سيلبس التاج ! فكم يغير ذلك من طباعه هذا بيت القصيد ان النهار الساطع البهى هو الذى تخرج فيه الحية من جحرها تنشد الحب والخيانة ولكن لنفرض أنه قد توج فماذا يكون انا بذلك نكون قد هيأنا له إبرة يلسع بها كما أراد فان السلطة إنما يسوء استعمالها اذا انتزعت الرأفة من قلب صاحبها ألا أشهد الآلهة أنى ماعهدت قيصر قد غلبت أهواؤه على أمره فافسدت رأيه ولكن من جهة أخرى قد ثبت بالدليل أن التواضع انما يصطنع ليكون سلماً لارتقاء ذوى المطامع صغار الشأن فتعنو جباههم وتدين رقابهم حتى يصلوا الى أغراضهم من منتهى السلطة والامرة



« لابد من موته ! . . . . »

عندذلك يتحول حالهم فيستنكفون السلم الذى صعدوا به ويولونه أدبارهم ثم يشمخون الى السحاب بأنوفهم مزدرين كل من دونهم وهم الذين لولاهم ماصعدوا ولا ملكوا من الأمر شيئاً — وكذلك يفعل قيصر . واذن يجب ملافاة الخطر قبل وقوعه ولكن بما أن قتله لا يبرره هذا الدليل فيجب أن نقول كما يأتى : إن قيصر اذا تمادى فى سلطته الحالية وصل الى كذا وكذا من منتهى الصرامة والشدة فوجب علينا أن ننظر اليه بمثابة بيض الثعبان اذا فقس أخرج حيات من نوعه لادغة واذن يتحتم إعدامه فى قشره

« يدخل لوشياس »

لوشياس : الشمعة تضىء فى حجرتك يا مولاى غير أنى بينما كنت أبحث

فى النافذة عن زناد أورى به النار وجدت الورقة هذه كما تراها مختومة وانى لعلى يقين من أنها لم تكن هناك وقتما ذهبت لأنام * يعطيه الورق *

بروتاس : ارجع الى فراشك يا لوشياس فان النهار لم يطلع أليس غداً اليوم الخامس عشر من آذار ؟

لوشياس : لا أعرف يامولاى

بروتاس : ابحث فى التقويم ثم أخبرنى

لوشياس : سمعاً يا مولاى * يخرج *

بروتاس : ان الشهب لتخرق باشعتها حجب الظلام فيمكننى أن أقرأ فى نورها هذا الكتاب * يفض الرسالة ويقرأ *

« بروتاس أنت فى سبات . . . أفق من غفلتك . . . وانظر من أنت . . . هل رومه . . . الخ تكلم . اطعن . خلص رومه . . . بروتاس أنت فى نوم عميق . . . . أفق »

كم قد جاءنى مثل هذه التحريضات فكنت لا أعيرها الا أذنا صماء . . . . « هل رومه . . . الخ » أنا أتمم المعنى المراد : هل تبقى رومه فى حوزة وجبروت رجل واحد ؟ لا يارومه لان آبائى قد ساقوا « تاركوين » فى الشوارع لما استأثر بالسلطة . . . « تكلم اطعن خلص رومه » أثمّ من يطالبنى بالكلام والطعان ؟ رومه لبيك لبيك ! وانى لأعدكِ وعداً صادقاً أنه اذا كان ثمة من خلاص فانما تناليه قسطاً وافراً على يدى بروتاس * يدخل لوشياس *

لوشياس : لقد مضى من آذار أربعة عشر يوماً * يسمع قرع *

بروتاس : قد عرفت ذلك والآن اذهب الى الباب فثم طارق

* يخرج لوشياس *

لم أذق للنوم طعماً مـنـذ حرضنى كاشيـاس على قيصر وما الفترة بين ارتـكاب الأعمـال الهائلة وأول خطوة من الشروع فيها الا كالحـلم الفزع الرائع يحتـدم النضال بين القلب وسائر الأعضـاء والجوارح فينشل الجسم كما لو كانت ثورة فى دولة

* يدخل لوشياس *

لوشياس : انه أخوك كاشياس بالباب يريد مقابلتك

بروتاس : أهو وحده ؟

لوشياس : لا يا مولاى فان معه آخرين

بروتاس : أو تعرفهم ؟

لوشياس : كلا يا مولاى انهم قد بالغوا فى الاستخفاء فأمالوا قبعاتهم على عيونهم والتفوا بأرديتهم فلا يمكن أبداً أن أميز ملامحهم

بروتاس : فليدخلوا * يخرج لوشياس *

هم الثوار الهائجون إيه أيتها الفتنة الثائرة أتستنكفين أن تـظهرى ما تحت جبينك من الخطر المستطير حتى فى ساعات الليل البهيم الذى فيه يبسط الفساد أجنحته وينشر ألويته فأين تذهبين اذن فى سـاطع النهـار والى أى كهف تأوين حيث توارى تلك السحنة البشعة كلا أيتها الفتنة بل أولى لك أن تتوارى تحت ستار الابتسـام والهشاشة والبشاشة فمهما سرت وتسـترت حتى فى دجى الظلام فما تخفى منك خافية

* يدخل المتآمرون . كاشياس . كاسكا . ديشياس . سنا . متالاس سمبر . تريبونياس *

كاشياس : لقد اجترأنا على راحتك عم صباحا يابروتاس هل أقلقناك ؟

بروتاس : لم أنم حتى الساعة أأعرف هؤلاء الذين معك ؟

كاشياس : نعم وانك لتعرف كل فرد منهم وليس من بينهم الا من يجلك ويقدسك وكلهم يتمنى لو أنك تعرف مكانتك من قلب كل رومانى شريف : هذا « تريبونياس »

بروتاس : أهلا به

كاشياس : وهذا « ديشياس بروتاس »

بروتاس : مرحباً به كذلك

كاشياس : وهذا « كاسكا » وذا « سنا » وذاك « متالاس سمبر »

بروتاس : أهلا بهم جميعا . وما هى تلك المهام التى حالت بين أجفانكم والكرى فسهرتم عليها الليلة

كاشياس : عندى كلمة أسرها لك * بروتاس وكاشياس يتهامسان *

ديشياس : هذا هو الشرق ألا تطلع الشمس من هنا ؟

كاسكا : لا

سنا : عفواً ياسيدى — هو الشرق وها هى تباشير الصباح تنفذ أشعتها من أكباد الغمام

كاسكا : سيتضح لكما حالا بطلان رأيكما هنا الى جهة سنان رمحى تبزغ الشمس مائلة الى جهة الجنوب نحن لا نزال فى أوائل السنة وبعد شهرين ترتفع قليلا وتبزغ لنا أشعتها قريبة من جهة الشمال أما الشرق فهو بالضبط هنا الى جهة الديوان

بروتاس : ها هى يدى تصافحكم جميعاً واحداً واحداً

كاشياس : ثم لنقسم على حفظ ذلك العهد والميثاق.

بروتاس : كلا ثم كلا لا نقسم ولا يميناً واحدة وإذا كانت وجوه الناس وما يغشاها من الكآبة وإذا كانت أرواحنا وقد بلغت الحلقوم وإذا كانت النائبات الفاجعات التى تصب فوق رؤسنا فى العصر الحاضر اذا كانت كل هـذه أسبابا هينة تنقض الميثاق فأولى لنا أن ننفض فى الحال ويرجع كل منا الى فراشه حيث يستغرق فى سبات عميق ثم لترفرف المظالم فوق الرءوس ولتنقض علينا فى غفلتنا تتخطفنا الواحد بعد الآخر مَنْ ساءَهُ كان من المدحَضين ولكن إذا كانت كل هـذه الأشياء على ما أعتقد تشعل قلوب الجبناء بنار الحماس وتستنفر عزائم النساء على ما بهن من ضعف فأى محرض أشد منها يستحثنا يا أبناء وطنى الى سبيل الخلاص وأى رباط أوثق من تعاهدنا سراً نحن الرومان متى عقدنا على أمر فلا نقض له ولا ابرام وما الحاجة الى يمين وقد تآزر أشراف مع أشراف على أن ينهضوا بعمل والا هبط بهم فسحقهم ومحقهم انما يحلف القسيسون والجبناء والخدعة المراوغون والقَعَدة المستضعفون وغيرهم من البائسين الذين ألفوا الخنوع وجنحوا الى الذل يحلف هؤلاء بالباطل لأن الناس فى شك من أمرهم فاياكم أن تشوهوا الحق الممحص الذى نستمسك به فى جهادنا أو توهنوا الحمية الصادقة التى تجرى فى دمائنا بتعليقكم هـذه المهمة التى نحن بصددها على يمين نحلفها وكفى أن كل قطرة من الدم تسيل فى عروق كل رومانى يفاخر بها عن نسبه ووطنيته تصبح أكبر شاهد على نغولته وفساد محتده اذا ما نكث فى مثقال ذرة من عهد يعاهد عليه

كاشياس : مرحى مرحى وما رأيكم فى «شيشرون» هل نسبر غوره فما أظن الا أنه يعضدنا بكل قواه

كاسكا : نعم يجب ألا نتركه

سنــا : لا نتركه أبداً

متالاس : اذا نحن ضممناه الينا اجتذب لنــا بياض عذاره قلوباً كثيرة ورفع أصواتاً تتمدح بأعمالنا فيقال ان خبرته ورضانة شيخوخته كانت لنا هادياً ودليلا تأخـذ بأيدينا فى كل أعمالنا فاشتراكه معنا انما يسدل علينا ستاراً من الجلال والوقار فلا ترى الناس فى أعمالنا طيشاً ولا حماقة

بروتاس : عندى ألاّ تذكروه ولا تفشوا له خبرا لأنه لا يتم عملا بدأ فيه غيره

كاشياس : اذن دعوه

كاسكا : هو لا ينفعنا بشيء

ديشياس : وهل لا يقتل أحد غير قيصر ؟

كاشياس : لقد أصبت فى هذه الفكرة يادشياس فانى لا أرى من الصواب أن يعيش أنتونيوس وهو يحب قيصر حباً جماً فان عاش سنجد فيه خصما لدوداً وما كرا محتالا قد يوقع بنا وأظنكم توافقونى على أن ما لديه من المواهب اذا أحسن استعمالها تطاول الى التنكيل بنا ورأيى أنه حسما لما عساه قـد يطرأ يجب أن يموت أنتونيوس وقيصر معاً

بروتاس : ان عملنا يكون دموياً فظيعاً يا كاياس كاشياس — أن نقطع الرأس ثم نبتر بقيـة الأعضاء كأن يقضى القاتل الجانى مأربه ثم ينقلب على فريسته يسومها سوء العذاب وهل أنتونيوس الا فلذة من جسم قيصر ؟ كلا يا كشياس إنما يجب أن نظهر بمظهر الفادين لا الجزارين نحن انما نحارب «روح قيصر» وليس فى أرواح البشر دماء وحبذا أن نقبض «روح قيصر» من غير أن نفتك بجسمه ولـكن ذلك مستحيل ولا بد من اهراق دمـه فاقتلوه يا إخوانى الأرقاء بشجاعة وبسالة ولـكن لا بحقد وضغينة وهيئوه كما لو كان صحفة تليق بالملوك

ولكن لاتقطعوه إرباً كما لو كان رمة تتهافت عليها الكلاب ولنكن في ضمائرنا كالسيد الماكر الذى يستغوى خدمه الى إنجاز مآربه السيئة ثم بعد ذلك يرجع عليهم باللوم والتثريب بهذه الطريقة يرى العالم أنها الضرورة لا الضغينة ألجأتنا الى عملنا ولئن ظهرنا بهذا المرآى قيل عنا أنَّا كرام بررة لا قتلة شررة وأنتونيوس هذا لا تفكروا فيه الا كالذرة من جسم قيصر اذا قطعت الرأس فلا حول لها ولا قوة

كاشياس : ولكني أتوجس منه خيفة وحبه لقيصر منقوش على صفحات قلبه

بروتاس : رحماك يا كشياس لا تفكر فى قتله اذا كان يحب قيصر فكل ما يمكنه عمله قاصر على نفسه يتذوى حتى يموت فضلا عن أنى لا إخاله يفعل ذلك وهو مجبول على اللهو والدعارة والعربدة

تريبونياس : ليس ثمة خوف منه فلا تقتلوه بل دعوه يعيش و يسخر مما جرى

* تدق الساعة *

بروتاس : أنصتوا — عدوا الساعة

كاشياس : نحن فى الساعة الثالثة من الصباح

تريبونياس : اذن آن أن نفترق

كاشياس : ولكنى لا أزال فى ريب من خروج قيصر اليوم من منزله فهو قد أصبح كثير التشاؤم بالرغم مما كان يعتقده قديماً فى بطلان الأوهام والأحلام والطيرة وربما حالت دون خروجه الى الديوان تلك الخوارق الفظيعة ومخاوف الليلة المروّعة وتحاذير المنجمين له

ديشياس : لاتخش بأساً من ذلك لانه مهما عاند وتشدد فسأتغلب على فكره وآتيكم به فى الديوان قيصر يحب أن يسمع أن الخراتيت تخدعها الأشجار والدببة

تغرها المرايا والفيلة ترتطم فى الجحور والأسود تقع فى الشباك والرجال تختلبها المداهنون ومن عجيب أمره أنى اذا نوهت له بكرهه الملق والدهان ونفوره من التزلف والرياء يؤمن على ذلك وهو أكبر من يتملق له فأنا أعرف كيف أسوغ له الأمور كما يشاء فاتركوا لى هذا الأمر وسآتيكم به

كاشياس : كلا بل نذهب اليه جميعاً لنخرجه

بروتاس : ذلك يكون فى الساعة الثامنة على الأكثر

سنا : اذن فلا تتأخروا عن هذا الميعاد

متالاس : ان « كاياس ليجارياس » يكره قيصر كراهة مرة لأنه عنفه مرة إذ سمعه يثنى على « بومبى » ومع ذلك فلم تفكروا فيه

بروتاس : احسنت يامتالاس عده فى منزله وابعثه الى هنا وأنا أهيئه فى زمرتنا لأنه يحبنى ولا يشك فى اخلاصى

كاشياس : لقد طلع الفجر فلنتركك الآن يابروتاس وأنتم يا اخوتى انشروا كلٌ الى وجهة ولكن ليذكر كل واحد منكم وعده وليبرهن على أنه حقا رومانى كريم

بروتاس : أرجوكم ياإخوانى أن تتظاهروا بالبشاشة والبشر ولا تجعلوا وجوهنا يبين عليها شىء مما فى صدورنا فكونوا كممثلى المراسح فى تصنع الابتهاج والمسرة والآن عموا جميعكم صباحاً

* يخرج الجميع الا بروتاس *

يالوشياس! سابح أنت فى بحار النوم! نم ياولدى واهنأ بلذيذ الكرى فانت خلو من الهواجس والشرور التى تساور العقول وتشغل الأفهام نم واستغرق فى نومك

* تدخل بورشيا *

بورشيا : بروتاس مولاى سيدى !

بروتاس : أنتِ بورشيا ! وماذا تمنين ؟ ولماذاصحوتِ الآن ؟ انه لمضر بصحتك أن تعرضى جسمك الرقيق الضعيف الى برد الصباح

بورشيا : وانه لكذلك مضر بصحتك أنت لقد انسللت يا بروتاس من فراشى ولم ترع عواطفى وليلة أمس رأيتك قد نهضت فجأة وتركت العشاء ثم أخذت تتمشى مطرقا مفكراً تتنفس الصعداء قابضا بأحدى يديك على الأخرى ولماسألتك عن السبب نظرت إلىّ شزرا فلما الحفتُ فى القول طوحت برأسك وضربت بقدمك جزعاً وتململا وكلما ألححتُ ازددتَ اضراراً وتكتما ثم أشرتَ الى بيدك أن أخرج وأفارقك ففعلت خيفة أن تتمادى فى الشر وكان قد نال منك وعللت نفسى بأن سلوكك هذا مما قد يعترى بعض الناس من النزعة والانقلاب الفجائى الذى لا يلبث إلا ساعة من الزمان ثم يزول ولكنك أصبحت لا تأكل ولا تشرب ولا تنام ولو كان يؤثر ذلك فى خَلْقك كما أثر فى خُلُقك لاستنكرت سحنتك يا بروتاس وما عرفتك سيدى . مولاى . أخبرنى سبب آلامك

بروتاس : لست صحيحاً معافى وهذا كل مالدى أقول

بورشيا : ان عهدى بك ذو العقل الرجيح يا بروتاس فلو كنت كما تقول مريضاً لأخذت لنفسك الحيطة من الداء حتى يتم لك الشفاء

بروتاس : وكذلك أفعل . . . . بورشيا ! عزيزتى ! اذهبى ونامى

بورشيا : أبروتاس مريض ؟ وهل من الصحة أن يسير فى هذا الصباح البارد مفكك الأزرار مكشوف الصدر يستنشق الهواء الفاسد الموبوء قل لى أبروتاس مريض ؟ ولماذا ينسحب خلسة من الفراش الصحى ليعرض نفسه لزفرات الليل

الوبيئة وليقاوم ريحه الدنس القارس فيزداد مرضاً على مرض لا يا بروتاس انما أنت مصاب بمرض فى رأيك ويجب أن أطلع عليه لمكانتى الشرعية ومنزلتى منك هأنذا أجثو بين يديك أستحلفك بجمالى الذى طالما شفع لى عندك



« هأنذا أجثو بين يديك أستحلفك بجمالى . . . . »

وبجميع أيمان المحبة الزوجية وبذلك الميثاق الذى جمع لحمتنا وربط روحينا ان تكشف لى عن سرك لأنى كشخصك بل أنا شطر منك بل نصفك فيجب أن تبوح لى بأسباب همك وبحقيقة الرجال الذين جاءوك الليلة على خفاء وقد كانوا ستة أو سبعة قد استبشع الظلام وجوههم

بروتاس : لا تجثى يا بورشيا

بورشيا : وما كان ليلجئنى الى ذلك يا بروتاس لو كنت وديعا رقيقاً قل لى يا بروتاس هل يقضى عقد زواجنا بأنى لا أطلع على أسرارك وهل ينص بأنى كشخصك فى أمور محدودة فقط كأن أشاركك فى الطعام وتسكن الى فى المنام ونتحادث أحياناً

بروتاس : أنتِ زوجى الصادقة الطاهرة أحبُّ الىّ من حبّات الدم وقطرات الحياة التى تسيل من قلبى الكئيب

بورشيا : اذا صدق زعمك حق لى أن أقف على سرك نعم انى امرأة ولكن امرأة رضيها « لورد بروتاس » أن تكون زوجاً له امرأة سليلة فى المجد عريقة فى الحسب بنت « كاتو » فهل لا تظن أنى أكبر من مثيلاتى وأترابى وهذا زوجى وذاك أبى أفصح لى عن حقيقة أمرك ومكنون سرك وأنا أعدك بالكتمان وانى لقادرة على ذلك إذ خبرت مرة عزيمتى وثباتى بجرح وقّعته بنفسى على فخذى ههنا فهل يمكن أن أحتمل ذلك بصبر دون أسرار زوجى

بروتاس : آلهتى ! اجعلونى أهلا لتلك الزوجة الطاهرة النبيلة

* يسمع قرع من الداخل *

اسمعى ... أنصتى ... انى أسمع قرعاً بالباب ... بورشيا ! احتجبى الآ ن ... وانى يا حبيبتى عما قريب سأسر اليك بكل ما فى قلبى وأوقفك على حقيقة قلقى وانشغالى وسبب الكآبة التى تلوح لك منى ولكن الآ ن أسرعى بالخروج « تخرج بورشيا » يا لوشياس ! من يقرع الباب

*يدخل لوشياس مع ليجارياس *

لوشياس : هذا رجل مريض يريد أن يكلمك

بروتاس : « فى نفسه »

نعم هو ذا « كاياس ليجارياس » الذى كلمنى عنه « متالاس » تنح أنت يا غلام * كاياس ! وكيف ذلك !!

ليجارياس : عم صباحاً من لسان أثقله المرض

بروتاس : وكيف اجترأت على الخروج فى مثل هذا الوقت وأنت مريض لاتزال ملثما مقنعاً

ليجارياس : لا لست مريضاً اذا كان لدى بروتاس من العمل الجلل مايجلب الشرف

بروتاس : لدى ذلك العمل الجلل ياليجارياس ولكن كيف تصيخ اليه وأنت مقنع بلثام المرض والضعف

ليجارياس : هأنذا وأيمن الآلهة التى تدين لها رقاب الرومان أخلع عنى لثام الأمراض وأعود صحيحاً معافى الجسد فكأنى بك ياروح رومه ويابطل أبنائها ويا سلالة مجدها كالراقى قد أبرأت نفسى بالرُّقى من أسقامها مُرنى بالعدو والركض تجدنى آتى بالمستحيل بعد أن أذلله تذليلا قل ماذا أعمل

بروتاس : اعمل عملا يعيد المريض صحيحاً

ليجارياس : وهل ليس فيه ما يعيد الصحيح مريضاً

بروتاس : هذا لا بد منه أيضاً ولكن ماذا يا أخى أفضى اليك به ونحن جميعاً الى غرض معلوم نسعى فى رميه

ليجارياس : تقدم أنت وأنا أتبعك بقلب يرمى شرراً لايهمنى ما أفعل مادام بروتاس هو القائد

بروتاس : أذن فاتبعنى *يخرجان *

المنظر الثانى

* بيت قيصر . رعد وبرق . يدخل قيصر لابسا قميص النوم *

قيصر : السماء والأرض هـذه الليـلة فى اضطراب ثلاث مرات تصرخ « كالبيرنيا » فى منامها مستغيثة وتقول : ياللرجال ! هم يقتلون قيصر !

يدخل خادم

خادم : مولاى

قيصر : اذهب الى القسيسين ومرهم أن يقربوا الضحايا فى الحـال وائتنى بنبأ منهم عن شأنى

خادم : السمع والطاعة لك يامولاى

* يخرج الخادم وتدخل كالبيرنيا *

كالبيرنيا : قيصر وماذا تعنى ؟ أو تظن انك تخرج اليوم! انك لن تبرح بيتك هذا النهار

قيصر : لا بد من الخروج لأن تلك الأشيـاء التى تهددنى انمـا تحوم من خلفى فاذا ما أقبلت اليها بوجهى ولت مدبرة ولم تُعقِّب

كالبيرنيا : ما كنت لأعبأ بالطيرة لولاأنها تروعنى الآن وتفزعنى ان هنا من يحدثك بالمناظر والأشباح المرعبة التى رآها الحراس أنفسهم خلاف ما شهدناه نحن وسمعنا به يقولون ان لَبُوَّة قد انتجت أشبالها على قارعة الطريق وان القبور قد بعثرت وبعثت موتاها وانهم رأوا فى حالق الجو فرقا وكتائب على أهبة الحرب تقطر منها الدماء على ديوان الحـكومة وانهم قـد سمعوا بآذانهم صياح النزال وصهيل الخيول وأنين الموتى وقرَّع أسماعهم عزيف الجان وجرْسها فى الطرقات أواه

قيصر ! هـذه أطوار غير عادية وانى أتوجس خيفة منها

قيصر : وماذا ينفع حذر من قدر والقضاء لا ينفك عنه آبق فقيصر حتما سيخرج لان كل هذه التطورات انما هى للعالم أجمع فلا تخصنى وحدى

كالبيرنيا : ذوات الأذناب لاترى عند هلاك الأوباش والسوقة ولم تكن السموات لتنشق أكبادها الا ايذانا بموت أمير جليل

قيصر : الجبان يموت مرات حتى يأتيه اليقين وأما الشجاع فلا يذوق طعم الموت الا مرة وانى ليدهشنى أن أرى الناس تفزع فرقاً مع علمهم أن الموت نهاية محتومة فليقع حينما يقع

* يعود الخادم *

ماذا قال العرافون ؟

الخادم : هم ينصحون لك الا تبرح بيتك اليوم لأنهم لما انتزعوا أحشاء أحد القرابين لم يجدوا له قلباً

قيصر : ان الآلهة ليمثلون ذلك احتقارا للجبن وامتهاناً للضعف وان قيصر ليكون وحشا من غير قلب اذا تنحى عن الخروج اليوم لداعى الجبن . ان المخاطر تعلم يقيناً أن قيصر أشد خطراً منها نحن أسدان ولدنا فى يوم واحد ولكنى أنا الأكبر والأشد بطشا وقيصر سيخرج اليوم حتما

كالبيرنيا : وا أسفى يامولاى لقد غلبت عليك الثقة حتى أصبحت على غير هدى ... مولاى لا تخرج ... وقل انه خوفى أنا الذى حال دون خروجك ونرسل مارك أنتونى الى مجلس السناتو ليقول لهم انك اليوم موعوك المزاج مولاى ها أنذا أجثو أمامك أضرع اليك

قيصر : ليذهب مارك أنتونى و ليقل انى مريض سأمكث هنا ياحبيبتى مادام فى ذلك راحتك وطمأنينتك

* يدخل ديشياس *

وها هو ديشياس بروتاس يقوم بهذا البلاغ

ديشياس : قيصر ! عمت صباحاً ونعمت بالا مولاى انى قد حضرت اليك كى أرافقك الى المجلس

قيصر : لقد حضرت فى خير وقت فلتبلغ سلامى الى الأعضاء وقل لهم انى لا أحضر اليوم : أما أنى « لا أقدر » فكذب وبهتان أو « لا أجسر » فأكذب وأشد سفاهة اذن بلغهم ما قلت لك حرفاً بحرف

كالبيرنيا : قل إنه مريض

قيصر : أوَ يبعث قيصر بأكذوبة أوَ بعد ما شهدت فى حومة الوغى أجبن أمام هؤلاء الشيوخ وأبعث بغير الحقيقة كلا يا ديشياس بل اذهب ولا تقل أكثر من أنى لا أحضر

ديشياس : قيصر مولاى ! رب القدرة والعظمة ! أنبئنى ببعض سبب أتذرع به حتى لا يضحك الناس علىّ اذا ما أبلغتهم ما أرسلت به

قيصر : السبب هو محض ارادتى فانى لا أريد الحضور وفى هذا القدر كفاية للأعضاء وأما لك أنت فأزيدك علماً وأبوح لك بالسبب الحقيقى لأنى أحبك ولا أكتمك أمراً كالبيرنيا هذى زوجى تلح ببقائى لأنها رأت الليلة فى منامها كأن تمثالى نافورة قد انبجس منه مائة عين كلها تطفح دما رائقاً صافياً وأقبل عليه جماعة من الرومان هاشين باشين فغسلوا فيه أيديهم وخضبوا محارمهم وكالبيرنيا تؤول كل هذه المناظر الرائعة بأنها نُذُر لشر جسيم يتهددنى . فأخذت تجثو على ركبتيها وتضرع الى ألا أخرج اليوم من البيت

ديشياس : لقد أولت هذا الحلم على وجه كله خطأ وانه فى الحقيقة حلم بهيج

سعيد أما أن تمثالك ينبجس منه الدم عيوناً تغتسل منها جماعة الرومان وعليهم أمارات البشر والسرور فما يدل على أن منك ستستمد رومه دماً يكون لها منه حياة جديدة وان كبارها ووجهاءها سوف يتهافتون عليه يتخضبون بما يكون لهم مأثرة وتذكاراً جليلا هذا يامولاى هو تأويل حلم كالبيرنيا على الوجه الأصح

قيصر : لقد أحسنت فى تأويله على هذا النحو

ديمياس : ويؤكد لك صدق ذلك بقية الخبر الذى بعثت به والذى يجب أن تعرفه الآن : ان مجلس السناتو قد قرر اليوم أن يسدى اليك يامولاى قيصر تاجاً فان بعثت اليهم بعدم حضورك ربما عدلوا عن رأيهم فضلا عن أنك ستكون هدف السخرية من كل حى إذ يقولون « فضوا مجلسكم أيها الأعضاء الى وقت آخر تكون فيه كالبيرنيا قد صادفت حلماً أبهج وأشرح » وهل اذا تخلف قيصر وتنحى عن الخروج لهم لا يقولون غمزا ولمزا « وَىْ ان قيصر لخائف وجل » غفرانك مولاى ! فان حبى اصالحك يحتم علىّ تمحيص النصح

قيصر : ما أحمقك يا كالبيرنيا أن تظهرى بهذا الجبن المخجل ! وانى لكذلك خجل من إذعانى لك هات وشاحى فانى قد صممت على الذهاب

* يدخل بوبلياس . وبروتاس . ولبجاريباس . ومتالاس . وكاسكا وتريبونياس . وسنا *

ديشياس : ها هوذا بوبلياس قد جاء فى طلبك أيضاً

بوبلياس : عم صباحا مولاى قيصر

قيصر : أهلا بك يابوبلياس ! وكذلك أنت يا بروتاس قدجئت الىّ مبكرا ! عم صباحا يا كاسكا وأنت ياكاياس ليجارياس ! لست بعدوك يا كاياس كذلك الداء الذى انحلك ودق عظمك كم الساعة ؟

بروتاس : لقد دقت الساعة الثامنة

قيصر : أشكر لكم جميعاً هذه العناية واللطف

* يدخل أنتونى *

وها هو أنتونى يقضى الليل على طوله فى اللهو والقصف ومع ذلك قد صحا مبكرا أيضا عم صباحاً يا أنتونى

أنتونى : سعدت صباحاً يامولاى

قيصر : مرهم جميعا أن يتأهبوا للخروج معى فانى خجل من هذا التأخير والآن ياسنا ويا متالاس ... اسمع ياتريبونياس . . . عندي كلام أحب ان أقوله لك يستغرق منا نحو ساعة فلا تنس ان تحضر الىّ اليوم واجتهد أن تكون قريباً منى حتى أبقى ذاكراً لك

تريبونياس : سمعاً يامولاى

* فى سره * سأكون منك على مقربة يذعر لها أحب أحبائك ويود أن لو كان بينى وبينك أمد بعيد

قيصر : الآن تدخلون معى أيها الاخوان نرتشف شيئاً من النبيذ

بروتاس : * فى سره *

« اخوان » ! اذا تماثلت الأشياء يا قيصر فلا تستلزم أن تكون من نوع واحد ان حالك ليدمى قلبى

المنظر الثالث

* شارع قريب من الديوان . يدخل ارتميدوراس يقرأ ورقة *

ارتميدوراس : ياقيصر . احذر بروتاس . اياك وكاشياس . لاتقرب كاسكا. ارقب سنا . لاتأمن تريبونياس . احترس من متالاس سمبر . ديشياس بروتاس لايحبك . أنت أسأت الى كاياس ليجارياس . كل هذه العصبة قد أجمعت رأيها

عليك واذ كنتَ انساناً وجب أن تأخذ الحيطة لنفسك . إن تغاليك فى الركون الى الأمان يمهد لهم سبل المؤامرة . أسأل الآلهة أن تحميك . حبيبك ارتميدوراس »

هنا أقف حتى يمر بى قيصر فأناوله هذه البطاقة كأنى طالب حاجة ألتمس النظر فى أمرى انى ليحزننى أن أرى الحسد ينهش الفضيلة نهشاً بأنيابه الضارية اذا قرأتَ هذا يا قيصر عشتَ وحييتَ وان لم تقرأ كان القضاء مع الخونة عليك لا لك

المنظر الرابع

* جهة أخرى من نفس الشارع . أمام دار بروتاس . تدخل بورشيا ومعها لوشياس *

بورشيا : أرجوك يا بنى أن تسرع الى مجلس السناتو اياك أن تقف أمامى تجادلنى بل اذهب توا عجبا ! لماذا لم تذهب فى الحال ؟

لوشياس : لا أعرف مهمتى ياسيدتى



« كنت أفضل أن أراك ذاهبا آيبا لا واقفا . . . »

بورشيا : كنت أفضل أن أراك ذاهبا آيبا لاواقفاً مستفهما عن مهمتك ألا أيها الثبات كن عضـدى وسندى اجعل جبلا راسخاً بين قلبي ولسانى ان لي من الرجل عقله ومن المرأة قلبها ألا ما أصعب الـكتمان على المرأة ! عجباً ألا تزال هنا ؟ !

لوشياس : سيدتى ماذا أعمل أذهب الى الديوان ولا عمل ثم أجيء اليك ولا خبر

بورشيا : بل ائتنى بخبر عن سيدك وقل لى كيف تجده لأنه خرج اليوم متوعـكا ثم راقب قيصر فى كل حركاته ولاحظ من يلتف حوله من الطلاب ذوى الحاجات . . . صه ! ما هذا اللغط ؟

لوشياس : لا أسمع لغطاً يامولاتى

بورشيا : ويحك ...أصغ ... فانى سمعت ضجةمن جهة الديوان قد جاءت على جناح الريح

لوشياس : رويدك يا مولاتى فانى لم أسمع شيئاً

* يدخل عراف *

بورشيا : تعال أيها الرجل قل لى من أى طريق جئت ؟

عراف : جئت من طريق بيتى أيتها السيدة الجليلة

بورشيا : هل توجه قيصر الى الديوان ؟

عراف : لم يتوجه الآن وانى ذاهب لأحرز مكاناً أراه منـه اثناء ذهابه الى الديوان

بورشيا : ألك حاجة عنده تريد قضاءها ؟

عراف : نعم يا مولاتى واذا أشفق على نفسه وأنصت لى تضرعت اليه أن يبر بنفسه و يرحمها

بورشيا : ولماذا ؟ أتخشى ضررا قد يقع ؟

عراف : لا أعرف ما سيكون ولكن كثيراً مما أخشاه ربما يكون سعدت صباحا يا سيدتى ان الطريق هنا ضيقة حرجة وأخشى أن ما يعقب موكب قيصر من الزحام قد يزهق نفساً ضعيفة مثل نفسى فسأبحث عن مكان أقل جلبة وهناك أقف لأخاطب مولاى قيصر أثناء مروره

* يخرج *

بورشيا : يجب أن أدخل وأعتكف واهاً لقلب المرأة ما أضعفه ! أواه يا بروتاس ! اليك أيتها الآلهة أبتهل أن تنجحى مقاصده آهٍ لا بد أن يكون الغلام قد سمعنى * للغلام * ان لبروتاس حاجة أظن أن قيصر لا يقضيها له* أواه انى أشعر بانحلال جسمى . . . يالوشياس . . . انطلق واذكرنى عند زوجى قل له انى فرحة مسرورة ثم ارجع الى بما يقوله لك

* يخرج الجميع *

الفصل الثالث

المنظر الاول

* رومه أمام الديوان . المجلس معقود فوق . زحام شديد فيه ارتميدوراس والعراف . هرج .
يدخل قيصر وبروتاس وكاشياس وكاسكا وديشياس ومتالاس وتريبونياس وسنا وانتونى
وليبداس وبمباياس وبوبلياس وغيرهم *

قيصر : * يخاطب العراف *

نحن فى اليوم الخامس عشر من آذار !

العراف : أى قيصر ولكن لم يمض بعد

ارتميدوراس : حياك الله وبياك مولاى قيصر اقرأ هذه الرقعة



« اقرأ رقعتى أولا . . . . . . »

ديشياس : ان تريبونياس يرجوك أن تقرأ فى وقت فراغك هذا الملتمس الضعيف

ارتميدوراس : قيصر اقرأ رقعتى أولا لأنها أخص بك أنت من الأخرى اقرأها يا مولاى قيصر

قيصر : ان الذى يخصنا نحن انما ننظر فيه آخراً

ارتميدوراس : قيصر مولاى لا ترجىء اقرأها حالا

قيصر : عجباً — أمعتوه هذا !

بوبلياس : تنح يا هذا افسح

قيصر : أو يكون الالحاح على قارعة الطريق ! قدم طلبك فى الديوان

* يصعد قيصر الى الديوان ويتبعه الباقون *

بوبلياس : أرجو أن يتم لك المراد اليوم

كاشياس : وأى مراد تعنى يابو بلياس

بوبلياس : الوداع * يقترب من قيصر *

بروتاس : ماذا يقول بوبلياس لينا

كاشياس : يتمنى بلوغنا المراد فأخشى أن يكون قد افتضح أمرنا

بروتاس : انظر كيف أقبل الى قيصر ! ارقبه

كاشياس : أسرع ياكاسكا واضرب ضربتك فانى اتوجس أن يعرض مانع قل يابروتاس ماذا نعمل ان افتضح الأمر ؟ ان افتضحنا فاما حينى أو حين قيصر انى انتحر

بروتاس : كن ثابت الجأش ياكاشياس « بوبلياس لينا » لا يتكلم فينا لأنى أراه يبتسم وقيصر لم يتغير

كاشياس : تريبونياس لا يزال يذكر وقته ومهمته انظر كيف انسلخ بمارك انتونى * يخرج أنتونى وتريبونياس *

ديشياس : أين ماتالاس سمبر ليذهب الآن ويعرض حاله على قيصر

بروتاس : هو على تمام الاستعداد فالتفوا حوله وعضدوه

سنا : اذكر ياكاسكا أنك أول من يشهر يده

قيصر : هل نحن على استعداد ؟ وأى مظلمة ترفع الآن حتى يحكم فيها قيصر ومجلسه ؟

متالاس : مولاى قيصر صاحب العظمة والجبروت عبدك « متالاس سمبر » يضع تحت أعتابك قلبا خاضعا * يركع *

قيصر : لا بل يجب أن أمنعك من ذلك يا « سمبر » ان ذلك الركوع والخنوع والخضوع قد يستفز قوما عادين فينسخون من أجله القوانين المدموغة بعد أن تم ابرامها ويخرجون بها من حيز الجد الى الهزل ومن طور الرجولة الى دور الطفولة فلا يبلغ بك حمقك أن تظن لقيصر دما باردًا قد جمد فى عروقه لا يسيل الا بأنواع الملق والزلف ذلك الملق الذى يستهوى الحمقى بأشكاله وأطواره مثل تزويق اللسان والتعوج والتلوى بالرياء والدهان والتمسح كالكلاب تحت الاقدام ان أخاك قد نفيناه بأمر عالٍ قد أبرمناه فاذا سجدت وتراميت وتمسحت زفصتك كالكلب من طريقى واعلم أن قيصر لا يظلم أحدًا ولا يرتاح ضميره لحكم الا بعد قيام الدليل والبرهان

متالاس : ألا صوتٌ أجدر من صوتى يحلو سماعه لآذان قيصر فيعفو عن أخى فى منفاه

بروتاس : قيصر — انى أقبل يدك ولـكن لاملقا ولا زلفا وألتمس منك رجوع بو بلياس من منفاه

قيصر : وى بروتاس !

كاشياس : عفواً قيصر عفواً انى أجثـو الى قدميك ألتمس الصفح والمغفرة « لبو بلياس سمبر »

قيصر : كنت ألين لو أنى على شاكلتكم ولو كنت أتوسل الى أحد بالرجاء لـكان للتوسل سلطان علىّ اذا ما وجه الىّ ولـكنى ثابت كنجمة القطب التى لا تضارعها أخرى من الملأ الأعلى فى ثباتها وعدم تحولها ان السموات مرصعـة بشرر لا عدد له كله نار وكل واحدة منه تلمع وتسطع ولكن من بينه واحدة لاتحول ولا تحور وكذلك الأرضون كلها آهلة عامرة بالناس وكل الناس دم ولحم وروح ولـكن من بينهم لا أعرف غير فرد واحد لا يتزعزع من مقامـه ذلك أنا فلأثبتن لـكم بالحادث الصغير الذى نحن فيه اننى ثابت راسخ وأن « سمبر » سيظل فى منفاه واننى كذلك ثابت فى هذا الحكم عليه

سنا : رحماك قيصر !

قيصر : عنى أو تزحزح الجبل !

ديشياس : مولاى !

قيصر : أولم يركع بروتاس عبثاً !

كاسكا : فلتكلمك يدى اذن *يطعنه كاسكا أولا ثم باقى العصبة وفى آخرهم بروتاس*

قيصر : وأنت يابروتاس ؟ ! ! اذن يموت قيصر !

سنا : الخلاص ! الحرية ! مات الظالم والاستبداد ! بذا صيحوا واهتفوا فى الشوارع والطرقات

كاشياس : ليصعد بعضكم المنابر وليهتف فى الشعب بالحرية والخلاص واطلاق السراح

بروتاس : أيها الناس لا تخشوا بأساً ولا تركنوا الى الفرار وايا كم أن يبرح أحدكم مكانه هذا جزاء « الطمع »

كاسكا : عليك بالمنابر يابروتاس

ديشياس : وأين بوبيلياس

سنا : ها هو مرتبك فى أمره من هذه المذبحة الباغتة

متالاس : ضموا صفوفكم لئلا يدهمكم بعض أصدقاء قيصر

بروتاس : لاتذكر الانضمام ولا تخف يا بو بيلياس لاننا لا نقصد بك سوء ولا بأى رومانى آخر هكذا أبلغ الناس يا بو بيلياس

كاشياس : اخرج من عندنا يابو بيلياس حتى اذا هجم النـاس لم يؤذوا شيخوختك

بروتاس : اخرج يا بو بيلياس حتى لا يسأل عن هذا الأمر الا فاعلوه

* يدخل تريبونياس *

كاشياس : أين أنتونى ؟ !

تريبونياس : فر الى بيته مذهولا وكذلك كل الناس رجالا ونساء وصغاراً وكباراً يحملقون ثم يصرخون ثم يفرون كأنه يوم القضاء قد حم

بروتاس : أيها القضاء ! هلا نعرف ماتريد بنا ! أما أننا سنموت فذا شيء واقع لا محالة ولكن ترقب الساعة وانتظار الأجل هما الهم كل الهم

كاشياس : أجل ان من يقضى عشرين عاماً فى الحياة انما يقضيها فى مخافة الموت وتوجس وقوعه

بروتاس : اذا سلمنا بذلك كان الموت من فائدتنا ونكون قد أحسنا الى قيصر اذ قصرنا له أجل تخوفه من الموت أكبوا أيها الرومان أكبوا لنغسل أيدينا الى المرافق فى دم قيصر ولنلطخ به سيوفنا ثم لنبرز فى الأسواق ونهزّ من فوق الهام سيوفاً مخضبة ثم لنهتف بالأمان والحرية والخلاص

كاشياس : أكبوا اذن واغتسلوا فكم من قرن سوف يمثل فيه هذا المنظر الجليل فى بلاد ولغات لا علم لنا بها

بروتاس : أجل — وكم من مرة سيدمى قيصر على المراسح كما هو الآن طريح في أسفل تمثال يومبي أقل قيمة من التراب

كاشياس : وفى كل مرة سيقال عن عصبتنا هذه انها هى التى حررت البلاد من ربقة الأسر والاستعباد

ديشياس : وما رأيكم الآن أفنخرج ؟

كاشياس : لنخرج جميعاً وفى مقدمتنا بروتاس هو أولا ونحن فى أثره نعضده بقلوب هى أكبر وأشجع مافى رومه

* يدخل خادم ويركع *

بروتاس : صه من الرجل هذا من جهة أنتونى

الخادم : هكذا .... يامولاي بروتاس أمرنى سيدى أن أركع أمامك هكذا ....

كافئى مارك أنتونى أن أترامى على قدميك حتى اذا تم ذلك أبلغتك هذه العبارة :
«بروتاس حكيم نبيل وشجاع أمين وقيصر كان ملكا قديراً وخليلا وجسوراً
قل انى أحب بروتاس وأجله كما كنت أخشى قيصر وأهابه ومع ذلك فقد
كنت أحبه وأجله أيضاً فاذا تنازل بروتاس فسمح لأنتونى بالحضور بشرط ألا
يمسه سوء ثم اذا تبين السبب الذى من أجله استحق قيصر موتته فقل ان مارك
أنتونى لا يحب قيصر ميتا بقدر مايحب بروتاس حيا وحينئذ أتبعُ بروتاس كظله
وأحذو حذوه بالأمانة والوفاء فى مجاهل هـذه الحال ومخاطرها التى أصبحنا فيها»
هكذا يقول لك مولاى أنتونى

بروتاس : ان سيدك من الرومان أهل الشجاعة والحجا ذلك اعتقادى فيه
لم يتغير فقل له أن يحضر الى هذا المكان آمناً مطمئناً حتى اذا جاء أقنعناه وأقمنا
له الدليل وأقسم له بشرفى ألا يمسه أحد بسوء

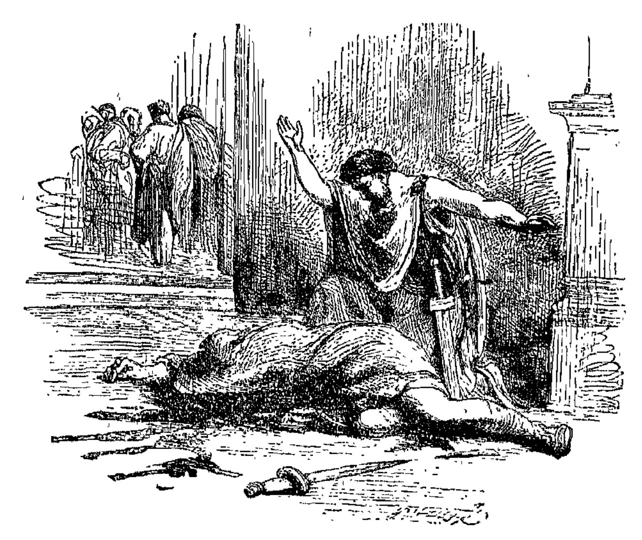
الخادم : سأجىء به الى هنا * يخرج *

بروتاس : لا شك فى أنه سيكون لنا نعم الصديق

كاشياس : هذا جل أمانى ولكنى أوجس منه خيفة وفراستى فيه ليست
من باب الرجم بالغيب

بروتاس : ها هو ذا مارك أنتونى قد حضر * يدخل أنتونى *
أهلا بك يا أنتونى

انتونى : وا قيصراه ! رب الرفعة والجلال ! أفأنت ترقد فى هذا المضجع
الحقير هل بعد ذلك الفتح والفوز والغنم تنكمش فى هذا الحيز الصغير بأبى وأمى
أنت لا علم لى أيها السادة بما تضمرون ولا أى دم بعد هذا ستسفكون فان
كنت أنا الذى عليه تنوون فليست ساعة أحب الى أن أموت فيها من ساعة



« واقيصراه رب الرفعة والجلال . . . »

تقضى فيها قيصر وليست سيوف أتمنى أن تجهز عليّ الا تلك التى تخضبت بأطهر الدما الى استحلفكم بجميع الأيمان ان كان فى نيتكم قتلى أن تنفذوه حالا اذ لو عشت ألف سنة مما تعدون فلن أجد لحظة فيها أتمنى الموت أطيب من هذه ولا بقعة يلذ لى المنام فيها أروح من هذه ولا وسيلة أموت بها أشرف من هذه أنْ أكون بجانب قيصر وأن أقضى بأيديكم أنتم أنتم جود الأيام على الأنام

بروتاس : يا أنتونى لا تطلب موتك منا فاننا ان ظهرنا الآن بمظهر الجناة القتلة كما يرى من أيدينا وهذه الفعلة فان قلوبنا تقطر أسى وأسفاً أنت لا ترى الا أيدياً جانية ولكن اذا كشف لك عن قلوبنا وجدتها تسيل حزناً وشجناً وجدتها كئيبة نكدة لما أصاب رومه من الظلم والاجحاف النار تلتهم النار والرأفة تذهب بالرأفة ولذا فعلنا هذه الفعلة وأما أنت يا أنتونى فسيوفنا عليك كليلة وسواعدنا قبلك هامدة لا نشهرها عليك لا بحقد ولا بضغينة وقلوبنا انما تستقبلك بالمحبة والاخلاص

كاشياس : سيكون صوتك كصوت كل واحد منا فى ترتيب مهامنا

بروتاس : ولـكن كن صبوراً حتى يسكن الثائر و يطمئن الشعب فقد انخلع فؤاده من الفزع والهلع وبعد ذلك نوقفك على حقيقة الامر الذى من أجله قد طعنت قيصر بيدى وأنا صفيه وخليله

انتونى : لاشك عندى فى رجاحة عقلك وها هى يدى أصافح بها أيديكم الدموية هات يدك أولا ياماركاس بروتاس ثم أنت يا كاياس كاشياس هأنذا أصافحك يدك ياديشياس بروتاس يدك يامتالاس يدك ياسنا والآن يدك أيها الشجاع كاسكا أنت آخرهم مصافحة ولست بأقلهم محبة هات يدك أيها الطيب القلب تريبونياس * واهاً أيها السادة ! ماذا أقول ؟ لا شك فى أن ثقتكم بى قد أصبحت مزعزعة الأركان لأنه لا بد أن تنظروا لى بأحدى اثنتين : فاما جبان واما منافق مماذق أما انى حبيبك يا قيصر فذلك ما لامراء فيه فماذا لو أشرفت علينا روحك فى هذه اللحظة ! ألا يحزنها أكثر من حزنها على موتتك الشنعاء أن ترى صفيك ووفيك أنتونى يعقد الصلح مع اعدائك و يصافح أياديهم الأثيمة على مرأى من جثتك الطاهرة آهٍ لوكان لى من العيون بعدد مافيها من الجروح وكانت هذه تدمع بقدر تلك ما تدمى لـكان ذا أجدر بى واليق من الصلح مع أعدائك الآثمين فغفرانك قيصر غفرانك ! الى هنا قد ساقوك وزجوك أيها الغزال الى هنا قد قفوا أثرك حتى انقطع خطاك الى هنا قد أحيط بك وتخضب صيادوك بدمائك ألا أيها العالم لقد كنت الغاب لذاك الغزال يتقلب فيك كالقلب فى الآمال. روحى فداك ما أشبهك فى رقدتك بالغزال قد أمكن منه جماعة الأمراء !!

كاشياس : يامارك أنتونى !!

انتونى : عفواً كاشياس عفواً ان أعداء قيصر أنفسهم ليقولون مثل هـذا القول فهو اذن من جانب المبيب قصور

كاشياس : أنا لا ألومك على التمدح بقيصر الى مثل هذا الحد ولكن نريد أن نعرف نواياك أتريد أن تكون معنا فى زمرتنا أم هل تسترسل فى عملنا دون ان نعتمد عليك

انتونى : ولماذا إذن صافحتكم ؟ ! اعذرونى فاشططت الا لرؤية جثة قيصر انما أنا صاحبكم وصديقكم أنا أحبكم كلكم ولكن بشرط أن تأتونى بأدلة « فيم ولماذا » كان قيصر خطراً ووبالا

بروتاس : نعم والا كان هذا المنظر وحشياً فظيعاً فلدينا من الأدلة الدامغة مالو كنت يا أنتونى ولد قيصر لاقتنعت

انتونى : هذا كل ما أريد ثم اني التمس منكم الاذن فى أن أعرض الجثة فى ساحة السوق الكبرى لأجرى لهـا مراسم الرثاء على منبر التأبين كما هو حرى بصديق مثلى

بروتاس : لك ذلك يامارك انتونى

كاشياس : كلمة يابروتاس * يهمس له فى أذنه *

أنت لا تدرى عاقبة ما تعد به اياك أن توافق على هذا التأبين ألا تفهم كم يؤثر ذلك فى نفوس الشعب وما يكون لعبارات أنتونى من الوقع

بروتاس : اسمح لى أن أبين لك ماأنا عازم عليه : أصعد أنا المنبر أولا فأسرد الأسباب التى أدت الى قتل قيصر فكل ما يفوه به أنتونى من بعدى يصبح منقوضاً هـذا الى أنه سوف يتكلم باذن منا . ولكن لا بد يا كاشياس من

أن تجرى لقيصر مراسم العزاء على أكمل وجه وهذا من فائدتنا ولا ضير منه

كاشياس : أخشى سوء العاقبة ولست راضياً مطلقاً عن هذا الرأى

بروتاس : ها نحن أولاء يا مارك انتونى خذ جثة قيصرك واخرج بها الى الساحة ولكن اياك أن توجه الينا أدنى لائمة امتدح قيصر ما شئت وقل انه باذن منا فان لم تعدنا بذلك فلا نسمح لك بالتأبين هذا وانك ستتكلم من بعدى وعلى نفس المنبر الذى أكون عليه .

انتونى : ليكن ما أردتم فلا أطلب أكثر من ذلك

بروتاس : أعد الجثة واتبعنا * يخرج الكل الا انتونى *

انتونى : غفرانك غفرانك ايتها الجثة الدامية والطينة الطاهرة أن ترَيْ منى اللطفَة والدعة لهؤلاء الجزارين بلى أنت أيتها الجثة أطلال أعلى صرح شاده الزمان فتبت يدا من هدّه وسحقا لأيد أثيمة سفكت منك ذاك الدم الطاهر . هنا فوق جروحك التى كأنها الشفاه الحمراء والأفواه الخرساء تناجينى بالمطالبة بحقها أنذر العباد بما سينزل بهم من سخط ولعنات وماسيحتدم بينهم من عداء وشجار وما سينشب فيهم من نيران ولظى وما سيشب فى جمعهم من حروب ووغى تسفر عن أقوام صرعى فلايرى الرائى الا دماراً ودماً حتى يألف الناس الأهوال اذ تعم البلوى وترى الأم ضاحكة وابنها يتقطع ارباً وتنضب الرحمة وتنصب القسوة حينذاك ترفرف «روح قيصر» مؤذنة بشر جسيم ويحلق بجانبها انتقام قد قُدَّ من جحيم يبسط جناحيه على هذى الآفاق ويصيح بالويل والثبور فتندلع كلاب الحرب تنهش جيفا تئن فى طلب الدفن ولا سميع واذن يشتم الجرم قتل قيصر رائحة تضيق بها أنفاس الناس فى الآفاق *يدخل خادم*

أنت خادم أكتافيوس قيصر أليس كذلك ؟

الخادم : بلى . يامولاى

انتونيا : اكان قيصر قد كتب له بالحضور الى رومه

الخادم : لقد تسلم الجواب وهو الآن فى الطريق وأمرنى أن أقول لك مشافهة ... * يرى جثة قيصر * . . . . واقيصراه !!

انتونى : أرى قلبك قد فاض حزناً وشجناً فابتعد وابك لقد هيجت أشجانى بدموعك التى تهطل . . . . . هل فى نية سيدك المجئ ؟

الخادم : هو الليلة على بعد سبع مراحل من رومه

انتونى : ارجع اليه مسرعا واقصص عليه كل ماوقع هنا قل له ان رومه فى حداد وفى خطر مستطير فليست بدار الأمان لأكتافيوس أسرع اليه وأبلغه الخبر ولكن انتظر..لاترجع اليه حتى أحمل الجثة الى الساحة وتكون قد عرفت من بعد خطبتى كيف ينظر الشعب الى فظاعة هذا الجرم فيتسنى لك أن توقف أكتافيوس على الواقع والآن ساعدنى فى حمل الجثة . * يخرجان بالجثة *

المنظر الثانى

* ميدان . يدخل بروتاس وكاشياس فى زمرة من الأهالى *

الاهالى : قدموا لنا الدليل . . . أقنعونا . . .

بروتاس : اذن تعالوا معى وأنصتوا لى أيها الاخوان لتذهب أنت يا كاشياس فى الشارع الآخر فتقاسمنى الجماعة ثم ليبق هنا من يريد أن يسمعنى وليذهب مع كاشياس من يريد سماعه بعد ذلك نصرح لكم علناً بالأسباب التى حدت بنا الى قتل قيصر

أحد الاهالى : أنا أسمع بروتاس

آخر : وأنا أسمع كاشياس ثم لنقارن بين أقوالهما بعد أن نسمع كلامنهما

* يخرج كاشياس ببعض الاهالى ويصعد المنبر بروتاس *

بروتاس : يجب أن تصغوا الىّ حتى آخر الحديث أيها الرومان أبناء الوطن الأعزاء أصغوا الىّ فان الموضوع خطير وأنصتوا لى حتى يمكنكم سماعى ثقوا بشرفى واخلاصى واحترموا أمانتى ووفائى فينسنى لكم تصديق واياكم أن تحكموا الا بعد التعقل والروية فأجمعوا حواسكم لتكونوا خليقين بموقف القضاء * اذا كان الآن بين صفوفكم صديق حميم لقيصر فاليه وحده أقول : لم يكن بروتاس بأقل منك محبة وإعزازاً لقيصر فاذا قال ذلك الصديق ولماذا اذن قتلت حبيبك ؟ قلت له : قتلته لا لأنى أقل منك محبة له بل لأنى أكبر منك وطنية أوَ تفضل ياهذا حياة قيصر مع موتنا فى ذل الأسر على موته هو وحياتنا فى نعيم الحرية ؟ كان قيصر حبيبى فأنا أبكيه كان سعيداً مجدوداً فأنا أهنيه كان شجاعاً مقداماً فانا أطريه ولكن كان جشعاً « طماعاً » فذبحته فثم ترحٌ من أجل حبه وفرح بسعده وحظه وشرف بشجاعته واقدامه وموت لجشعه « وطمعه » فأين منكم الحقير السفيه الذى يرضى بالأسر والاسترقاق اذا كان هذا بين صفوفكم فليتكلم لأنه هو الذى قد أسأت اليه بقتلى قيصر وأين منكم الجلف الوحش الذى ينكر وطنيته اذا كان من بينكم هذا أيضاً فليبرز وليتكلم لأنه هو الذى قد أسأت اليه بقتلى قيصر أين منكم الوغد الدنىء الذى لا يحب بلاده اذا كان ثمة انسان فليتكلم لأنه هو الذى قد أسأت اليه وهأنذا فى انتظار الرد

الجميع : لا أحد لا أحد يابروتاس

بروتاس : اذن لم أسىء الى أحد ولم أفعل بقيصر أكثر مما أنتظره لنفسى أن ينالنى على أيديكم لو شططت عن جادة الحق أما حادثة موته فستبقى مسجلة



* أين منكم الحقير السفيه الذى يرضى بالاسر والاسترقاق . . .
أين منكم الجلف الوحش الذى ينكر وطنيته . . .
أين منكم الوغد الدنىء الذى لا يحب بلاده . . .

بالديوان ومفاخره سنتحدث بها جميعاً ومساوئه كذلك لا يبالغ فيها

* يدخل انتونى فى جماعة آخرين ومعه جثة قيصر *

وها هوذا أنتونى قد جاءكم بالجثة ليجرى عليها مراسم التأبين ذلك هو أنتونى الذى قد أصبح له بقتل قيصر مع أنه لم تكن له يد فى قتله مكانة فى الحكومة كبيرة جداً وكذلك كل واحد منكم له نصيبه فيها والآن أترككم انا الذى قتلت أعز أعزائى لصالح بلادى . وانكم لتجدوننى فى كل وقت أرحب بنفس الخنجر فى أحشائى اذا ما راق ذلك يوماً ما لابناء وطنى

الجميع : ليعش بروتاس . . . ليعش . . . ليعش ! !

أحد الاهالى : هيا نحمله على الاعناق حتى نصل به داره

آخر : لنبن له تمثالا كاجداده

ثالث : ليكن هو قيصر

رابع : بما أن له الزايا على قيصر فلنتوجه هو بدله

الاول : هيا نحمله الى بيته فى هتاف وتهليل

بروتاس : أبناء وطنى ! !

أحد الأهالى : صه * بروتاس يتكلم *

آخر : اسمعوا . . . أنصتوا !

بروتاس : أبناء وطني الإعزاء اسمحوا لى أن أخرج من عندكم وحدى وأن أرجوكم بمنزلتى عندكم أن تبقوا مع انتونى لِتؤدوا واجب الاحترام الى جثة قيصر ولِتحضروا الرثاء والتأبين الذى سيقوم به انتونى باذن منا أرجوكم ألا يخرج منكم أحد غيرى حتى يتم انتونى مقاله * يخرج *

احد الاهالى : اذن فلتبقوا هنا جميعاً ولنسمع مارك انتونى

آخر : فليذهب الى المنصة ولنسمعه جميعاً تقدم يا انتونى

انتونى : أنا مدين لبروتاس بالوقوف بينكم * يتقدم الى المنبر *

احد الاهالى : ماذا يقول عن بروتاس ؟ ؟ !

آخر : يقول انه مدين لبروتاس بالوقوف بيننا

الاول : أولى له أن لا يذكر بروتاس بسوء

ثالث : لقد كان قيصر ظالماً مستبداً بنا

رابع : هذا لا شك فيه وان رومه لسعيدة بخلاصها منه

الثاني : أنصتوا . . . لنسمع ما يقول أنتونى

انتونى : أيها الرومان الكرام . . .

الاهالى : أنصتوا . . . أنصتوا . . .

انتونى : أيها الاخوان . أيها الرومان . بني وطني أعيروني أسماعكم فاني ما جئتكم للتمدح بقيصر ومناقبه ولكن لأواريه لحده وأهيل عليه التراب فقد جرينا على أن ما يعمل الانسان من شر يخلفه وما يعمل من خير يرمس معه في غمار الرمم ولفيف الرفات وهذا شأن قيصر معنا اليوم نتناسى مناقبه ونعدد معايبه قال لكم بروتاس وهو رجل الشرف الصميم ان قيصر « طماع » فان كان كذلك كان ذنبه يوجب الأسى والأسف كما كان جزاؤه أدعى للحزن والشجن انى أقف بينكم الآن فى جناز قيصر باذن من بروتاس وهو رجل النبل والفضل وباذن من زملائه الآخرين وكلهم مثله أجلاء نبلاء ولكن قد كان لي فى قيصر صديق حميم وبر كريم . لم أعهد فيه « الطمع » الذى يرميه به بروتاس رجل الفضل والشرف أتاكم قيصر بالأسرى مكبلين فملأت دياتهم بيت المال فهل كان فى عمله هذا ما ينبيء عن « طمع » كان قيصر يبكى شفقة ورحمة كلما أذرفت الفقراء دموع الفاقة والاملاق وعهدى « بالطماع » أخشن طبعاً وأغلظ كبداً ولكن بروتاس يقول إنه « طماع » وبروتاس كما تعلمون رجل الفضل والشرف ألم تروا أنى عرضت عليه التاج ثلاث مرات فى « لوبركال » فكان يرفضه فى كل مرة فهل كان هذا « لطمع » فيه ؟ ! ومع ذلك فان بروتاس يقول إنه « طماع » وبروتاس رجل الفضل والشرف لا أريد أيها السادة أن أدحض دليل بروتاس ولا أن أقارعه الحجة بالحجة وانما أنا أقول ما أعرفه من

من الحق الصراح لقد كنتم كلكم تحبون قيصر حباً جماً فهل كان ذا من غير داع وبلا مسوغ اذن ما الذى يمنعكم الآن أن تقيموا عليه شعار الحداد يا للعدالة لقد أويت الى قلوب الوحوش الضارية فغادرت الانسان جباراً عتياً فاقد الرشد والصواب عفواً سادتى ان قلبى مدرج مع قيصر فى أكفانه فأمهلونى حتى يرتد الىّ

احد الاهالى : الظاهر ان فى كلامه شيئاً من الحق

آخر : انك اذا نظرت فى الأمر بلا تحيز وجدت قيصر مظلوماً

ثالث : أجل وانى لأخشى أن يعقبه شر خلف

رابع : ألاحظتم هذه العبارة : أنه لم يأخذ التاج فكفى بهذه دليلا على انه لم يكن « طماعاً »

الاول : اذا ثبت كذبهم فلا بد من الانتقام له

الثانى : مسكين أنتونى ان عينيه تتقدان من البكاء

الثالث : ليس فى رومه أخلص من أنتونى

الرابع : ها هوذا قد عاد للكلام

انتونى : بالأمس كانت كلمة يفوه بها قيصر تقيم العالم وتقعده أما الآن فها هوذا طريح الثرى لا يأبه به أحقر حقير واها أيها السادة لو استنفرت هممكم وأوغرت قلوبكم الى الثورة والهياج لأسأت الى بروتاس ولأسأت الى كاشياس وهما معدن الفضل والشرف انى أفضل ان أسىء الى ذلك الميّت وأن أسىء الى نفسى انا دون أن أشهر برجال هم أهل الفضل والشرف ها كم ورقة بختم

قيصر قد وجدتها فى خزانته وانها للّوصية التى خلفها لكم فكأنى بكم وقد سمعتم هـذا التصريح العلنى الذى ليس فى نيتى أن أقرأه عليكم تُهرعون الى قيصر فتقبلون منه تلك الجروح وتخضبون محارمكم من دمه الطاهر وتتلمسون من ذكراه قيد شعرة تصرونها وتعقدون عليها الى الممات لتكون لذراريكم من بعدكم أفخر ذكرى

احد الاهالى : نسمع الوصية اقرأها يامارك أنتونى

جميع : الوصية الوصية ... لابد من سماع وصية قيصر

انتونى : صبراً أيها الاخوان صبراً بل يجب ألا اقرأ الوصية لانه ليس من صالحكم أن تعلموا كيف كان قيصر يعزكم ويتفانى فى حبكم فلستم أحجارا صلْبة ولا خُشباً مسنّدة وانما أنتم رجال فاذا سمعتم وصية قيصر ألهبت قلوبكم واستشطتم بل جننتم فأولى لكم ألا تعلموا بأنكم أنتم ورثته لأنكم اذا علمتم فياهَول العاقبة !

احد الاهالى : اقرأ الوصية . . . لا بد من سماعها يا أنتونى . . . نحن انما نلزمك بقراءة الوصية لنا . . . اقرأ . . . اقرأ وصية قيصر . . .

انتونى : سادتى ! ألا تصبرون ! رويدكم رويدكم ! لقد خرجت عن حدى بذكر الوصية لكم وأخشى أن أكون قد أسأت الى أهل الفضل والشرف أولئك الذين مزقوا أحشاء قيصر بخناجرهم

احد الاهالى : هم خونة لا أشراف

جميع : الوصية . . . الوصية . . . .

حد الاهالى : هم قتلة سفاكون . . . الوصية . . . اقرأ الوصية . . .

انتونى : انكم لتجبرونى على قراءة الوصية لـكم ولكن قبل أن أقرأها عليكم أسألـكم أن تلتفوا حول جثة قيصر لكى أريكمو أولا ذلك الذى قد ترك الوصية لـكم أفأنزل اليكم ؟ وهل تسمحون ؟

الاهالى : انزل . . . انزل . . . تعال يا أنتونى . . .

واحد : انزل . . .

ثالث : انزل أذِنَّاك . . .

« ينزل أنتونى »

ثالث : التفوا حلقة أيها الاخوان

الاول : ابعد عن النعش . . . ابتعد عن الجثة . . .

ثان : افسحوا لأنتونى . . . نحن فداؤك . . . . ما أشد إخلاصك !

انتونى : من كان فى مقلته عبرة فليستعد ليسكبها « وليس لعين لم يَفِض ماؤها عذر » تعرفون كلـكم هـذا القباء وانى لأذكر أول يوم رأيته على قيصر فقد كان يوماً من أيام الصيف وهو بخيمته ذلك اليوم المشهود الذى دحر فيه أهل « نرفا » انظروا ـ هنا جرى خنجر كاشياس أبصروا ما أكبر هذا المزق الذى عمله كاسكا بغل وحقد ! وأما هنا فقد طعنه صديقه المحبوب بروتاس واذ انتزع خنجره اللعين طفح الدم على أثره كأنما يريد أن يستوثق اذا كان هو بروتاس الذى قد طعن ولا رحمة لان بروتاس كما تعلمون كان لدى قيصر فى منزلة الملاك ألا فاشهدى أيتها الآلهة كم كان يحبه ويعزه سادتى ان هذه الطعنة لأبشع الطعنات وأفظعها وأقساها ولما أحس بها قيصر غلبه الجحود والنكران ـ وذا أشـد من وخز السنان ـ فانصدع قلبه الـكبير وستر وجهه بهذا القباء وقد أخذ الدم يسيل منه وهو طريح فى سِفل تمثال پومبى ثم سقط ... سقط السقطة أيها

السادة ومنا أكبرها سقطة لأنى أنا وأنتم والجميع قد سقطنا بها الى الحضيض ففشت الجرائم وسادت الفوضى * ها أنتم أولاء تبكون !! أفتحركت فيكم عوامل الرحمة والرأفة !! هذى عبرات طاهرة أفتبكين أيتها الأرواح الشفيقة اذ رأيت آثار الجروح فى صدرية قيصر ؟! اذن فلتنظريه هو بنفسه وقد فتكت به أيدى الخائنين

احد الاهالى : أواه من هذا المنظر المؤثر ! !

ثان : مسكين ياقيصر ! وارحمتاه لك ! !

ثالث : ما أشنع هذه الساعة ! !

رابع : هم خونة وحوش

خامس : أف لهذا المنظر ما أبشعه !

ثان : لابد من الانتقام

الجميع : الانتقام . . . الانتقام . . . هيا ابحثوا عنهم حرّقوهم قتّلوهم ذبّحوهم اقضوا على الخونة الجناة

انتونى : مهلا ياإخوانى مهلا !

أحد الاهالى : سكون . . . اسمعوا سيدكم انتونى

ثان : كلنا آذان وكلنا له عبيد نموت معه فى هذا السبيل

انتونى : اخوانى ... أعزائى ... أحبائى ... أو تثورون فجأة هذه الثورة الجارفة ! ان أصحاب هذا الجرم رجال أشراف ليت شعرى ماذا عسى أن تكون الأسباب التى دفعتهم الى ارتكابه ولكنهم نبلاء عقلاء وفى مقدورهم أن يقنعوكم بالدليل والبرهان اخوانى انى ماجئت لأسحر قلوبكم ولا لأخلب ألبابكم لأنى لست

بالخطيب المفوّه مثل بروتاس وانما انا رجل كما تعرفوننى كلكم بسيط غمر قد أخلصت محبتى لصديقى وإنهم أنفسهم ليشهدون بذلك ولذا قد آذنونى أن أقوم فى الشعب خطيباً ... سادتى ليس لى ذكاء ولا قول ولا عمل ولا قيمة ولا رغبة ولا فصاحة ولا شىء من ذلك كله به أهيج جاشكم أو أثير نفوسكم وانما أنا أتكلم بما يجىء فى خاطرى وأخاطبكم فيما تعرفونه أنتم أنفسكم وأريكمو جروح قيصر وقد كان بكم باراً جروحاً والهفى بل أفواهاً خرساء تنطق لكم من غير لسان لعجزى وقصورى أن أترافع لها أمام محكمتكم العليا وأما لو كنت انا بروتاس وبروتاس انتونى اذن لوجدتم انتونى خطيباً مصقعاً وفصيحاً مفوهاً يستنفر هممكم ويستشيط غضبكم ويضع فى كل جرح من قيصر لساناً يحرك أحجار رومه الى الثورة والهياج

الجميع : الثورة الثورة ! !

احد الاهالى : هيا نحرق على بروتاس بيته

ثالث : هلموا تعالوا نبحث عن المؤامرين القتلة

أنتونى : انتظروا يا اخوانى اسمعوا لى كلمة أخرى

الجميع : أنصتوا . . . اسمعوا أنتونى . . . نحن فداؤك يا انتونى

أنتونى : لماذا يا اخوانى تذهبون لتعملوا من غير أن تعلموا خبرونى ماهو السبب الذى من أجله يستحق قيصر حبكم وا أسفا أنتم لا تعلمون . واذن يجب أن أعلمكم لقد نسيتم الوصية التى ذكرتها لكم

الجميع : أجل ... أجل ... نسينا الوصية الوصية ... قفوا حتى نسمع الوصية ...

أنتونى : ها هى . . . مختومة بختم قيصر نفسه . . . يهب فيها لكل رومانى أى لكل واحد منكم جنيهين اثنين

أحد الاهالى : أواه كم كنت كريماً يا قيصر ! لا بد من الانتقام له

آخر : وارحمتاه لك يا ملكنا قيصر !

انتونى : صبراً يا اخوانى لا تقطعوا علىّ كلامى

الجميع : سكون !

انتونى : وفضلا عن ذلك فانه قد ترك لكم جميع رياضه وغياضه وبساتينه الخاصة على شط « نهر تيبر » كل ذلك قد تركه لكم ولأولادكم من بعدكم كى تمرحوا فيه وتفرجوا عن أنفسكم بعد العناء ذلك هو قيصر فتى يجود الزمان بمثله

أحد الاهالى : مستحيل . . . مستحيل . . . هيا بنا نحرق الجثة أولا فى المعبد ثم ننقلب على الخونة نحرّق عليهم بيوتهم هيا نحمل الجثة

آخر : اذهبوا وأعدوا النار

ثالث : انزعوا كراسيهم ومقاعدهم فى الحكومة وأوقدوا بها النار

* يخرج الاهالى بالجثة *

انتونى : لقد نفثت فيهم سمومى الحارة فلتفعل أفاعيلها الا أيها الخراب العاجل قم على قدم وساق وليكن بعد ما يكون

* يدخل خادم *

ما الخبر يا غلام

الخادم : مولاى لقد وصل رومه أكتفافيوس

أنتونى : وأين هو

الخادم : فى بيت قيصر هو وليبيداس

أنتونى : سأكون عندهما حالا وان مجيئه فى هذه اللحظة لأمنية قد أجيبت لوقتها

ما أسعدنا إن الحظ اقائم معنا فكأنما يريد ان يخولنا كل ما نشاء

الخادم : سمعته يقول ان بروتاس وكاشياس قد هاما على وجهيهما كالمجانين

اتونى : لا بد أن يكونا قد علما بحالة الشعب وكيف أثرته هيا معى الى اكتفافيوس

المنظر الثالث

* يدخل سنا الشاعر *

سنا : حلمت الليلة أنى آكل مع قيصر فى وليمة وانى لمتطير مما رأيت انى لا أجد من نفسى ميلا الى الخروج فى الشوارع ولكنى فى الوقت نفسه أرانى مدفوعاً الى ذلك بعامل غريب

* تدخل عصبة من الاهالى *

احد الاهالى : ما اسمك ؟

آخر : والى أين تذهب

ثالث : وفى أى حى تسكن ؟

رابع : أأنت محصن أم أعزب ؟

الثانى : أجب كل واحد منا فى الحال

الاول : وبغاية الاختصار !

الرابع : وبعقل وفكر !

الثالث : نعم ذلك خير لك

سنا : ما اسمى وأين وجهتى وفى أى حى سكنى وهل أنا متزوج أم

أعزب ! ثم أجيب باختصار ! و بعقل وفكر ! أقول لكم ياسادتى بعد تعقل وتفكر وتدبر إنى أعزب

الثانى : مفهوم جوابك ان المتزوجين كلهم مجانين أفلا أصفع قفاك الآن من أجل ذلك. ومع ذلك أتم حديثك وأجب حالا

سنا : انى ذاهب حالا الى جنازة قيصر

الأول : أعدو أم صديق

سنا : انى صديق حميم

الثانى : لقد أجبتنا حالا على هذا السؤال

الرابع : وأين مسكنك ؟ قل وأوجز

سنا : أقول لكم بكل اختصار وايجاز انى أسكن بقرب ديوان الحكومة

الثالث : والآن اصدق -- ما هو اسمك ؟

سنا : الحق أقول ان اسمى « سنا »

الأول : مزقوه انه قاتل

سنا : انا « سنا » الشاعر. انا « سنا » الشاعر

الرابع : مزقوه لشعره البارد مزقوه مزقوه

سنا : لست سنا القاتل

الرابع : هـذا لايهم مادام اسمك « سنا » بل يجب ان ننزع اسمك من مهجتك ثم نتركك تسعى انّى شئت

الثالث : مزقوه مزقوه * هيا بالمشاعل هيا الى بيت بروتاس وبيت كاشياس والى بيوتهم أجمعين حرّقوهم جميعاً ليذهب منّا فريق الى بيت ديشياس وآخر الى كاسكا وثالث الى ليجارياس هيا بنا هلموا جميعاً

الفصل الرابع

المنظر الاول



الحكومة الثلاثية

* منزل فى رومه . انتونى واكتافيوس وليبيداس حول منضدة *

انتونى : اذن كل هؤلاء الذين قد أشرنا أمام أسمائهم قد حكمنا عليهم بالاعدام

اكتافيوس : وكذلك أخوك ياليبيداس يجب أن يموت ألا توافق ؟

ليبيداس : انى موافق

اكتافيوس : أشر أمام اسمه ياأنتونى

ليبيداس : إنما هذا على شرط أن يموت كذلك بوبلياس ابن اختك يامارك انتونى

انتونى : نعم يجب أن يموت انظر هأنذا أعدمه حياته بهذه الاشارة الصغيرة

والآن اذهب يالبيداس الى بيت قيصر وأحضر الوصية حتى نقرر ما يجب حذفه منها

ليبيداس : وهل أجدكما هنا اذا رجعت

اكتافيوس: ان لم تجدنا هنا نكن فى الديوان * يخرج ليبيداس *

أنتونى : ذلك رجل حقير لا قيمــة له خليق بأن نرسله فى قضــاء المآرب التافهة ولا أراه أهلا لمشاطرتنا ثلث هذا الملك الواسع والسلطان الشاسع

اكتافيوس: أنت الذى اخترته وأخذت صوته فيمن يجب اعدامهم ممن دوّنا اسماءهم بهذه القائمة

أنتونى : أنا يا أكتافيوس أكثر منك خبرة وحنكة نحن انما نجود على ذلك الغر بالألقاب وانواع الشرف لنخلص من قوارص اللوم وسهام النميمة وهو إنمـا يحمل تلك الالقاب كالحمار يحمل الذهب والسرج من القصب فيرزح ويئن تحت حمله الثقيل مقوداً أو مسوقاً الى حيث نوجهه حتى اذا ما بلغ بالحمولة الغاية التى نقصدها أخلينا سبيله وارسلنا حبله على غاربه ينفض آذانه كالحمـار اذا تجرد من وقره لينطلق يرعى بالعراء

اكتافيوس : افعل ما بدا لك ولـكن لا تنس أنه جندى شجاع قد نجذته الحروب

أنتونى : وكذلك جوادى يا اكتافيوس قد شهـد المواقع واقتحم الوغى وانى لمن أجل ذلك أجود له بالعلف هو حيوان قد ألف الحرب وعودته الحيدان والوقوف والسير الى الأمام حتى أصبح كل جسمه بل كل جارحة فيه خاضعة لسلطان ارادتى ذلك هو مثل ليبيداس اذ يجب أن يعلم ويدرب وترسم له خطط السير لأنه رجل مجرد من كل فطنة رجل يعيش باللفظات والنفاضات والتقاليد بعد أن

تلفظها الناس وتمجها النفوس الأبية فلا تنظرْ اليه الا كالآلة نديرها كيف نشاء . والآن أصغ يا أكتافيوس الى هذه الأمور المهمة ان بروتاس وكاشياس يحشدان الجيوش فيجب ألاّ نتوانى طرفة عين بل يجب أن نجمع قوانا ونمحص أصدقائنا ونعد عددنا ونهيئ نفوسنا ونعقد حالا مجلسنا لنبرم أمرنا فنسوى المعوج ونتقى المخاطر

أكتافيوس : لا بد من عمل كل ذلك لأننا فى مأزق حرج ومسلك وعر تكتنفنا فيه الأعداء الضوارى وتحيق بنا الألداء العوادى وما يدرينا ان من يبسم فى وجوهنا لا يضمر سوءا لنا

* يخرجان *

المنظر الثانى

* معسكر بقرب ساردبس. أمام خيمة بروتاس. طبل. يدخل من جهة بروتاس ولوسيلياس ولوشياس وجماعة من الجند ثم يقابلهم من الجهة الاخرى تيتينياس وبنداراس *

بروتاس : مكانك هناك !

لوسيلياس : أعط الكلمة وقف مكانك !

بروتاس : ما خبرك يا لوسيلياس هل كاشياس على مقربة منا ؟

لوسيلياس : ليس ببعيد يامولاى وها هو بنداراس خادمه قد جاءك يبلغك سلامه

بروتاس : * تهكم * وما أحلاه سلاما !

ان سيدك يابنداراس إما قد تغيرت أطواره وإما قد ساءت عماله فقد جعلنى أتمنى عدم وقوع أشياء قد حصلت فعلا مع الأسف ولكن بما أنه على مقربة منا فلا بد أن يوافينى ويقنعنى

بنداراس : لاشك عندى فى انك سترى سيدى كما هو كله اخلاص ومحبة لك

بروتاس : ولا شك فى ذلك عندى أيضاً . كلمة يالوسيلياس * يهمس له * قل لى كيف قابلك كاشياس لما توجهت اليه فانى أحب أن أتبين حقيقته

لوسيلياس : قابلنى بالحفاوة والتكريم ولكن لم آنس منه ذلك الوداد وتلك الصراحة والاخلاص فى الخطاب كما ألفناه منه قديماً

بروتاس : لقد وصفت صديقا قد اعتور حبه الفتور اعلم يالوسيلياس ان المحبة اذا اعتورها الملل والسأم تكلف صاحبها اساليب المجاملة لأنه لا حيل ولا شية فى الحب الخالص المحض واما المنافقون فكالخيل المتحفزة يلوح من ظاهرها الهمة والنخوة فيتوسم الانسان فيها الخير كل الخير حتى اذا عانت المهماز فى جوانبها وسبرها مسبار العناء والشقاء كبت وخارت سيقانها ودانت غررها وهانت فى الامتحان * قل لى هل قدم جيشه ؟

لوسيلياس : فى نيتهم ان يعسكروا الليلة فى « ساردیس » واظن ان معظم الجيش بما فيهم جماعة الفرسان قد جاءوا مع كاشياس

بروتاس : صه ها هو ذا قد وصل * مشى بطيء من الداخل * اخرجوا لملاقاته * يدخل كاشياس فى جماعته *

كاشياس : مكانك !

بروتاس : مكانك ! قل الكلمة !

الجندى الاول : مكانك !

الجندى الثانى : مكانك !

الجندى الثالث : مكانك !

كاشياس : اخى وحبيبى . . . انت أسأت الىّ . . .

بروتاس : أشهد الآلهة جمعاء على قلبي فاذا كنت لا أسيء الى أعدائى فكيف بأحبائى ؟ !

كاشياس : ان تلك الرزانة التي تتظاهر بها يابروتاس انما تخفي تحت ستارها كثيراً من أغلاطك فاذا كنت . . .

بروتاس : كاشياس — كفى كفى قل لى آلامك بهدو ولطف لأنى أعرفك حق المعرفة وهل يليق بنا ان نتنازع امراً على مرأى ومسمع من جندنا الذين يجب أن لايروا منا الا كل محبة واخلاص مرهم بالانصراف وتعال معى الى خيمتى وهناك خبرنى بكل آلامك تجد منى أذناً صاغية

كاشياس : يابندراس مر الضباط ان يتنحوا بالجند بعيداً عن هذا المكان

بروتاس : وانت كذلك يالوسيلياس لاتجعل احداً يقترب من خيمتنا حتى نتم حديثنا ثم قف بالباب انت وتيتينياس * يخرجون *

المنظر الثالث

* خيمة بروتاس — يدخل فيها بروتاس وكاشياس *

كاشياس : أما انك قد أسأت الىّ فظاهر جلىّ من هذه المسألة : لقد حكمت على « لوشياس بيلا » وشهرت به من أجل الرّشوة التى أخذها من أهل « سارديا » مع أن رسائلى كانت تأتيك تترى ألتمس فيها الصفح عنه لأنى أعرف الرجل معرفة حقة فكنت ياأخى لاتعبأ بهذه المكاتبات الطويلة ولا تعيرها أدنى عناية

بروتاس : أنت الذى قد أسأت الى نفسك بكتابة مثل هذه الأوراق

كاشياس : فى مثل هذه الظروف ليس من الصواب ان نشنع بكل ذنب طفيف

بروتاس : ثم اسمح لى بأن أقول لك يا كاشياس انك انت نفسك متهم كذلك بحِكّة الكف التى طالما مددتها فى البيع والمتاجرة بالرتب والألقاب تهبها لغير أهلها ومستحقيها

كاشياس : انا ؟ ! انا متهم بحكة الكف ؟ ! لولا انك بروتاس لما اجترأت على أن تفوه بمثل هذا القول ولو قاله لى غيرك لكان ذلك آخر أنفاسه من الحياة

بروتاس : اسمك يجلل هذه التهمة الشنعاء ولذا لا ملام ولا عقاب

كاشياس : عقاب ! !

بروتاس : اذكر آذار . اذكر اليوم الخامس عشر من آذار : ألم يذهب قيصر ضحية العدالة ؟ واى وغد داهمه وطعنه لغير سبب سوى العدالة ؟ افهل يليق بأينا ان يدنس أنمله برشوة سافلة بعد ان طعن مليكا فذاً لانه كان يظاهر اللصوص ؟ افهل يباع كل ذلك الشرف والمجد بمثل هذه القبضة من النقود ؟ ان الكلب الذى ينبح على القمر لأفضل عندى من ذلك الرومانى الساقط الذى يرضى لنفسه بهذه الخسة

كاشياس : لا تطل النباح علىّ لانى لا أرضاه ولا أتحمله إنك لتنسى نفسك حينما تتدخل فى شؤونى مع جيشى انى جندى اكبر حنكة واطول باعاً واقدر على وضع انظمتى بنفسى

بروتاس : عنى عنى لست بكاشياس

كاشياس : نعم انا ذا

بروتاس : اقول انك لست بكاشياس

كاشياس : لا تستفزنى اكثر من ذلك والا نسيت نفسى وخرجت عن طورى فارحم نفسك ولا توغر صدرى

بروتاس : عنى يارجل !

كاشياس : او يمكن ذلك !

بروتاس : آوّ يجب أن أذعن لهذه الثورة بل لهذا الحق وهل يجب أن أهاب اذا حملق الىّ معتوه

كاشياس : أواه أواه أتحملنى كل ذلك

بروتاس : نعم كل ذلك وأكثر من ذلك . ثر وتهيج حتى ينصدع قلبك المتعجرف انما هذه الثورة تظهرها لخدمك وحشمك وترعش بها مواليك وأتباعك أوّ تظن أنى أتحرك أو أعبأ بك أو تنتظر أن أقف وأطأطىء رأسى لسلطان غضبك فلأتركنك حتى ينبقر بطنك فتنفثىء حدتك ومن الآن فصاعداً ستكون عندى موضع الهزؤ والسخرية كلما ثار ثائرك وقمت على زُباناك

كاشياس : أو تبلغ إلى هذا الحد ! !

بروتاس : تزعم أنك جندى أكثر منى مراسا ودربة فليت شعرى لِمَ لم تحقق هذا الزعم وتظهر بهذا المظهر . فقد يكون غاية سروري لانى أحب ان أرى الابطال والصناديد والاقيال

كاشياس : انت تؤلمنى يابروتاس انت تجرحنى لم أقل ابدا إنى أقدر منك وإنما قلت إنى اكبر سنا أوّ قلت انى اقدر منك

بروتاس : وان كنت قلت فلا يهم

كاشياس : قيصر نفسه لم يجترئ على مناوأتي لمثل هذا الحد

بروتاس : مرحى ! مرحى ! وانت كذلك لم تجرؤ عليه .

كاشياس : لم أجرؤ عليه ؟

بروتاس : بلى

كاشياس : انا ! انا لم أجرؤ عليه ؟ !

بروتاس : بلى لأنك كنت تحسب لحياتك ألف حساب

كاشياس : لك يابروتاس ثقة كبيرة بمحبتي لك ولكن لاتتمادى لئلا يصدر مني ما آسف عليه

بروتاس : لقد صدر منك مايجب أن تأسف عليه ان وعيدك ورعيدك لايهولاني أبداً ياكاشياش أتدرى لماذا ؟ لاني محصن بالنزاهة والاخلاص فوعيدك يمر بي كالريح الخاملة التي لا تحرك ساكنا فلا أعبأ به لقد أرسلت لك طلباً في بعض المال فأنكرت وجحدت وانت تعلم أن لا قدرة لى على جمعه من طريق غير الشرف والحق فلأوثرن أن أدق قلبي نقوداً على ان أبتزها من يد البائس الفلاح بطريق معوج ارسلت لك طلباً في شيء من المال أنقده هذه الجيوش ولكنك بخلت على فهل كان ذا يليق بكاشياس وهل كنت انا امنعه من كاياس كاشياس لو طلبه مني الا أيتها الآلهة ! اذا بلغت ببروتاس كزازة اليد ليضن على اصحابه ولو بمثل هذا القدر التافه من المال فأنزلى به صواعقك ومزقيه كل ممزق

كاشياس : لم أجحدك شيئاً

بروتاس : أنت جحدت

كاشياس : لا لم أجحدك شيئاً وانه لمتوه ذلك الذى بلغـك جوابى * لقد قطعت أوصال قلبى يابروتاس مع أن للصاحب على صاحبـه أن يرحم ضعفه ويغفر ذنبه ولـكنك يابروتاس على العكس من ذلك تهول ذنوبى وتجسمها حتى تبلغ بها السهى

بروتاس : هذا ليس بصحيح وان صدرت منى هذه المعـاملة فليست الا جزاء لك من جنس عملك

كاشياس : أنت لا تحبنى

بروتاس : انا لا أحب أغلاطك

كاشياس : ان عين الرضا لا ترى عيباً

بروتاس : وكذلك عين المداهن الخُدَعة تغض عن العيوب ولو كانت أثقل من جبل

كاشياس : تعـال يا انتونى تعال يا اكـتفافيوس تعاليا جميعاً وصبا جام نقمتكما على كاشياس وحده لانه قد أصبح تعبـاً ملولا من العيش مبغوضا من أحبائه يحقره أخوه ويقرعه كالعبد المولى وكل عيوبه وأغلاطه مدونة مسجلة فى كتاب محفوظة عن ظهر قلب ليصفع بها فى كل وقت وا حرّ قلباه كأن مهجتى تسيل دمعاً من مقلتى ها يا بروتاس هاك خنجرى وها هو صدرى يُـكِنّ قلباً أعز وأغلى من المال فان كنت رومانيا عريقاً فاقتلعه منى حتى يثبت لديك ان الذى ضن بالمال قد جاد بالقلب اطعن كما طعنت قيصر فقد كـنت تحبه بقدر ما تبغضه وان محبتك له لهى أضعاف محبتك لـكاشياس

بروتاس : اغمد خنجرك ومن الآن فصاعداً اطلق لغضبك عنانه فسيجد

منى صدرا واسعاً رحبا افعل ماتشاء فان كل عيب مغفور ولأنت معتقل بصاحب أهدأ من شاة لا يحمل الغضب الا كالزند يوارى النـار فـلا تطير منه الشرارة الضئيلة الا بالقدح الشديد وسرعان ما تنطفئ

كاشياس : أوَ يعيش كاشياس ليكون من صديقه موضع الهزؤ والسخرية وهو فى ابان ثورته ومعمعان حدته

بروتاس : لما قلت لك ما قلت كنت أنا كذلك في ثورة وهياج

كاشياس : أوَ تعترف بذلك اذن هات يدك

بروتاس : وقلبي ايضاً

كاشياس : بروتاس !

بروتاس : ماذا

كاشياس : الا أجد فى حبك ملجأ من هذا التهور الذى يعترينى فينسينى نفسى وقد ورثته عن أمى

بروتاس : ستجد ذلك الملجأ يا كاشياس وكلما ثرت ثورتك سأفرض انها أمك تهدر وتهرف حتى تفيق الى أمرك

شاعر : * من الداخل * . . . اسمح لى ان ادخل على القائدين لأصلح ذات بينهما لانهما فى نزاع وشجار لا يليقان بهما

لوسيلياس : * من الداخل * لا يمكنك الدخول

شـاعر : * من الداخل * بل أدخل ولا يمنعنى الا الموت

* يدخل الشاعر وفى أثره لوسيلياس وتيتنياس ولوشياس *

كاشياس : ما الخبر ؟

الشاعر : عار عليكما ايها القائدان ! ما ذا تبغيان بكل هذه الشحناء ! تحابا وأخلصا فذلك خير لكما اسمعا مشورتى لأنى اكبر منكما سناً

كاشياس : * يضحك * . ما اوقح هذا الكلب !

بروتاس : اخرج من هنا أيها السفيه الوقح

كاشياس : لا تؤاخذه يا بروتاس فهذا طبعه

بروتاس : بل يجب أن يؤاخذ لأن هذا ليس بوقت الهذر وما للحرب وهؤلاء الشعراء المهوسين اخرج من هنا

* يخرج *

بروتاس : يا لوسيلياس و ياتيتنياس ابلغا الضباط ان يعسكروا الليلة و يضربوا خيامهم هنا

كاشياس : ثم ارجعا انتما فى الحال وأحضرا معكما ميسالا

* يخرج لوسيلياس وتيتنياس *

بروتاس : يالوشياس هات قدحا من النبيذ

* يخرج لوشياس *

كاشياس : ما كنت أظن انك فى مثل هذا الكرب

بروتاس : آه يا كاشياس لقد أضنتنى الاحزان والكروب

كاشياس : انك لا تنتفع بعقلك الرجيح وفلسفتك العالية إن استسلمت لأكدار وقتية تنقشع و تزول

بروتاس : لم يبق لى صبر على المكاره وقد ماتت بورشيا

كاشياس : بورشيا ! يا للخطب ! !

بروتاس : نعم ماتت

كاشياس : وكيف سلمتُ انا من القتل لما كنت أجادلك وأعاندك وامصيبتاه ما اكبر الخطب ! وبأى مرض ماتت ؟

بروتاس : عدم الصبر عنى وحزنا لاستطالة اكتافيوس وأنتونى علينا بذا جاءنى خبر وفاتها فانتهزت فرصة غياب الخدمة وابتلعت ناراً

كاشياس : ماتت !

بروتاس : نعم

كاشياس : ليس حى إلا والجاً باب الموت ! !

* يدخل لوشياس بنبيذ وشمعة *

بروتاس : لاتذكرها لى من الآن يا كاشياس هات القدح ففيه أتناسى كل اجحاف منك

كاشياس : منذ برهة كنت أتلهف على هذا التصريح املأ يالوشياس حتى تطفح الكأس وكم آسف يابروتاس على أنى لا أستطيع أن أشرب من هذا النبيذ مقداراً يعادل محبتك من نفسى

* يخرج لوشياس ويدخل تيتينياس مع ميسالا *

أهلا بميسالا اقعد بنا هنا أمام هذه الشمعة نتداول فى شؤوننا * أتفارقينا يا بورشيا !

بروتاس : أرجوك أرجوك لا تذكرنى بها * اسمع ياميسالا انى هنا قد استلمت جملة رسائل تنبيء بأن اكتافيوس ومارك انتونى قد جمعا جيشا جراراً

يريدان أن يقحمانا به ويغلبانا على أمرنا فعرّجا الى جهة « فيليباى »

ميسالا : وأنا كذلك قد وصلتنى جملة رسائل فى هذا المعنى

بروتاس : ألا ورد بها اكثر من ذلك

ميسالا : فيها أيضا ان اكتافيوس وانتونى وليبيداس قد أصدروا الأمر باعدام مائة من أعضاء السناتو

بروتاس : هنا تختلف رسائلنا فعندى عدد القتلى سبعون منهم شيشرون

كاشياس : شيشرون منهم ؟

ميسالا : نعم قتل شيشرون وهل جاءتك هذه الاخبار من زوجتك يامولاى ؟

بروتاس : لا ياميسالا

ميسالا : الم تكتب لك اصلا

بروتاس : لا يا ميسالا

ميسالا : هذا غريب !

بروتاس : ولماذا تسأل اعلمت عنها شيئاً ؟

ميسالا : لا يا مولاى

بروتاس : قل لى بحقك ولا تُخفِ عنى شيئاً

ميسالا : اذن تجلد واسمع انها ماتت وبكيفية غريبة

بروتاس : وارحمتاه يابورشيا ! لولا أنه لا بد من الموت يا ميسالا ولولا اعتقادى بانها ستموت يوماً ما لما احتملت هذه البلوى

ميسالا : أكابر الرجال تحمل كبريات الرزايا

كاشياس : تعهدت فى نفسى الجلد على المكاره الا فى هذه المرة فانى أراه يخوننى

بروتاس : والآن نتكلم فى الأعمال الحيوية فماذا ترى فى السير الى « فيلبباى » حالا

كاشياس : لا أرى فيه فائدة

بروتاس : برهانك

كاشياس : برهانى أن الأولى أن نربض للعدو هنا حتى يهاجمنا هو فاذا ما وصل الينا كان قد أضناه التعب وأنهك قواه فتذهب ريحه بينما نحن فى انتظارنا اياه نتمتع بالراحة فنقوى على الدفاع

بروتاس : ان الرأى الحسن كثيراً ما يولد آراء أحسن منه ان الناس بين هنا وفيلبباى قد ملوا مقامنا فى ربوعهم وهم انما يتكلفون الود لنا وكم من مرة أظهروا اشمئزازهم وامتعاضهم من المدد الذى يمدوننا به فاذا جاءهم عدونا ربما انضموا اليه فترجح كفته بهم وتنتعش قواه بمددهم فيتحتم علينا أن نحرمه من هذه الفائدة الكبرى وذلك بالرحيل من هنا وملاقاته فى « فيلبباى »

كاشياس : رويدك ياأخى ...

بروتاس : اسمح لى أنا ولا يفوتك أننا قد أجهدنا هؤلاء كل الاجهاد وحصلنا منهم كل معونة فجيوشنا مستوفية أسباب الراحة وأمورنا كلها مدبرة بيد أن العدو يزداد فى كل يوم امداداً بتسياره وتجواله بين البلاد وما يدرينا أن تتغير حالنا وتتضاءل قوانا بالانتظار واعلم ان من بين الأوقات ساعة ما أشبهها بمد البحر اذا عرفها الانسان وانتفع بها ارتفع الى السمت واذا غفا عنها أو أهملها

وقع الى الحضيض وجنحت به سفينة الحياة على ماء ضحل ونحن الآن فى بحر طام زاخر يجب ان نأخذ وجهتنا مع تياره حين يلوح لنا والاَّ دهمنا بغمره الجارف

كاشياس : ليكن ماتريد ولنتبع ماتشير به نسير بأنفسنا وتلاقيهم فى « فيليباى »

بروتاس : لقد انقضى الوقت بالحديث وصرنا فى الهزيع الأخير من الليل وقد غلب النوم وللطبيعة احكام لامناص من الامتثال لها فقوموا بنا نسترح قليلا لا سيما وقد انتهى الكلام

كاشياس : كفى الوداع نستيقظ فى الغد مبكرين ونبرح فى الحال

بروتاس : يا لوشياس * يدخل لوشياس * هات ردائى * يخرج لوشياس * الوداع يا ميسالا سعدت مساء يا تيتينياس أخى وعزيزى كاشياس سعدت مساء ونعمت بالا

كاشياس : أخى الأعز بدأنا الليلة بغم أرجو أن نتناساه حتى لا تبقى له ذكرى

بروتاس : ليس فى نفسى شىء منه

كاشياس : الوداع يا مولاى وسعدت مساء

بروتاس : الوداع يا أخى

تيتنياس وميسالا : الوداع مولاى بروتاس

بروتاس : الوداع الوداع لكم جميعاً

* يخرجون الا بروتاس ويرجع لوشياس بالرداء *

ناولنى الرداء وأين قيثارتك يالوشياس

لوشياس ٠ هى هنا فى الخيمة

بروتاس : مالك تتكلم وأنت نعسان مسكين أنت ولكن لا لوم عليك فقد أعياك السهر وأنهكتك الحراسة ناد « كلوديوس » « وفارو » وغيرهما من رجالى فانى أريد أن يناموا هنا معى على هذه الوسائد

لوشياس : يافارو ! يا كاوديوس ! * يدخل فارو وكلوديوس *

فارو : أتنادى يامولاى

بروتاس : أرجوكما أن تناما معى هنا فى الخيمة لأنى ربما أوقظكما لمهمة أبعث بها الى كاشياس

فارو : ان اردت يا مولاى فاننا نقف فى حراستك الى الأبد

بروتاس : لا بل ناما هنا وربما لا اجد حاجة الى إيقاظكما ها هو ذا يا لوشياس الكتاب الذى كنت أبحث عنه وقد كنت وضعته فى جيبى

* يدخل فارو وكلوديوس *

لوشياس : لقد كنتُ يا مولاى على يقين من أنك لم تعطنى اياه

بروتاس : تحمل ياولدى . فأنا كثير النسيان الا يمكنك الآن ان تتماسك وتعزف قليلا بقيثارتك

لوشياس : يمكننى يامولاى اذا كان فى ذلك مسرة لك وترويح

بروتاس : فيه مسرة يا ولدى أنا أتعبك كثيراً ولكنك طيب القلب لا تظهر مللا

لوشياس : ذلك واجبى يا مولاى

بروتاس : بل يجب ألا أكلفك فى واجبك فوق الطاقة أنتم معشر الشباب تنتظرون ساعة الراحة بفارغ الصبر

لوشياس : ولكنى نمت واسترحت يامولاى

بروتاس : أحسنت وستنام ثانياً ولكن بعد أن تعزف لى قليلا ــ ان عشتُ يالوشياس كنت بك باراً كريماً * موسيقى وغناء رقيق *

هذه نغمة تبعث إلى النوم * إيهِ أيها الكرى ! انك لقاتل أثيم افتغلب هذا الغلام وهو يدعوك بقيثارته الشجية ! اذهب يالوشياس انت نعسان يابنى سعدت مساء يجب ألاّ أجنى عليك بالسهر الطويل اذا انت أطرقت برأسك كسرت القيثارة فهاتها واذهب ياولدى لتنام * الورقة قد زاغت مني ولكن هاهى . . .

* يقرأ فى كتابه · فيدخل شبح قيصر *

ما أضعف هذا النور ! ... ما هذا .. من هذا .. لا .. ان ذلك ضعف عينى يصور لى هذا الخيال المرعب ... انه يقترب مني !... من انت .. أأنت مخلوق .. قل من انت ... أإله أم ملك أم شيطان . . . أواه لقد جمد الدم فى عروقى وقام شعرى على منابته . . كلنى من أنت . .

الشبح : انى روحك الخبيثة يابروتاس

بروتاس : ولماذا جئتِ هنا

الشبح : لأخبرك أنك سترانى مرة أخرى فى « فيليباى »

بروتاس : أوَ اراك مرة أخرى

الشبح : نعم وفى « فيليباى »

بروتاس : أوَ اراك فى « فيليباى » . . * يخرج الشبح *

الآن أتمالك نفسى لقد كادت تزهق روحى ولكنى كنت أود أن يطول

خطابك لى ايتهـا الروح الخبيثة . . يالوشياس ! ياڤارو ! ياكلوديوس !
اصحوا جميعاً . . يا كلوديوس

لوشياس : الاوتار ياسيدى ليست مشدودة * يقولها بصياح *

بروتاس : يظن أنه لا يزال يعزف بقيثارته اصح يالوشياس أنت نائم

لوشياس : مولاى

بروتاس : أكنت تحلم يالوشياس ولماذا كنت تصيح

لوشياس : لا يامولاى ولم أدر اننى صحت

بروتاس : نعم صحت وصرخت فلماذا ؟ ارايت شيئاً مزعجاً

لوشياس : لاشىء يامولاى

بروتاس : ارجع ونم ثانياً يا كلوديوس ! ياڤارو ! قم ياڤارو !

ڤارو : مولاى * بصياح *

كلوديوس : مولاى * بصياح *

بروتاس : لماذا تصرخان فى منامكما

ڤارو : وهل صدر ذلك منا يامولاى ؟

بروتاس : نعم ألم تريا شيئا

ڤارو : كلا يامولاى

كلوديوس : ولا أنا يامولاى

بروتاس : اذهبا الى أخى كاشياس وأبلغاه سلامى وقولا له أن يحرك ركابه
أولا ونحن فى أثره

الفصل الخامس

المنظر الاول

* ساحات فيلبباى . يدخل اكتافيوس وأنتونى بجيشهما *

اكتافيوس : الآن ياأنتونى قد بلغنا المراد ولكنك قلت ان العدو لا ينحو جهتنا وسيلازم التلال وقلل الجبال والواقع غير ذلك وها نحن أولاء قاب قوسين من الحرب أو أدنى اذ فى نيتهم أن يعلنوها هنا فى فيلبباى وأن يناوشونا قبل أن نبدأهم

أنتونى : أنا واقف على أسرارهم وخبايا أمورهم وأعرف السبب الذى من أجله يتبعون هذه الخطة هم غادروا مكانهم وأقبلوا بخيلهم ورجلهم يزعمون انهم يرهبوننا بمظهرهم ويصدعون قلوبنا ببأسهم مع أن كل ذلك متبر وهراء

* يدخل رسول *

رسول : استعدا أيها القائدان فقد جاءكما العدو بخيله ورجله ناشراً عقاب الحرب ولا بد من الالتحام

أنتونى : خذ فرقتك يا اكتافيوس بكل هدو وسر على الجانب الأيسر من هذا السهل

اكتافيوس : لا بل أنا على الجانب الأيمن والزم انت الأيسر

أنتونى : ولماذا يا أخى نختلف ونحن فى هذا المأزق

اكتافيوس : انا لا أخالفك ولكنى فاعل ما قلت لك .

* يدخل بروتاس وكاشياس وجيشهما ومعهم لوسيلياس وتيتينياس وميسالا *

بروتاس : هم يقفون مكانهم وأظنهم يريدون الخطاب قبل الضراب

كاشياس : اثبت انت يا تيتينياس ونتقدم نحن للكلام

اكتافيوس : قل لى يا انتونى أوَ نؤذن بالحرب

انتونى : لا يا قيصر بل نقف لنصد هجماتهم تقدم بنا ان قوادهم يريدون الكلام

اكتافيوس : لا تتحرك الا بعد اشارة منهم

بروتاس : القول قبل الصول يا أبناء الوطن !

اكتافيوس : ليس لأننا نحب القول اكثر منكم

بروتاس : ان كلمة طيبة يا اكتافيوس خير من ضراب وطعان

أنتونى : وكم ضربات لك يا بروتاس قد ألنت فيها الكلام وأرفقت فى القول اذكر الضربة التى صدعت بها الى قلب قيصر وقد كنت تهتف ليعش قيصر ليعش أمداً طويلا

كاشياس : لست يا انتونى من صناديد الحرب ورجال القتال ولكن لك كلاماً يسرق من نحل « هيبلا » شهده

أنتونى : ولكن لا يسرق منه إبرَه والحمد لله

بروتاس : بلى ويسرق منه دويه ايضاً ويتركه بلا صوت لانك تطن يا أنتونى وتدوى قبل ان تلسع

أنتونى : واهاً لكم ياقتلة ألم تكن هذه كلها صفاتكم حينما اصطكت خناجركم فى أحشاء قيصر أبرزتم له أنيابكم كالقردة وتمسحتم كالكلاب وجثوتم

تلثمون الأقدام في حين أن دهمه من خلفه كاسكا جبناً ونذالة — كاسكا ذلك الشيطان الرجيم والوغد الزنيم ! الا تعساً لكم وقبحاً ايها المنافقون الغدارون

كاشياس : منافقون ؟ ! الآن يا بروتاس لا ترجع الا على نفسك باللائمة لان ذلك السباب لم يكن ليناالنا لو سمعت مشورتى

اكتافيوس : هيا بنا الى السيف فهو أحسم ولئن كان الجدال ينضح عرقاً فالقتال سيهرق دماً انظروا هأنذا أشهر فى وجوهكم سيفى فمتى تظنون أن يغمد ؟ انه لن يدخل غمده حتى اكون قد انتقمت لاثنين وثلاثين جرحاً فى قيصر أو يهلك قيصر آخر على حد ظباتكم أيها الخونة

بروتاس : انك يا قيصر لن تموت بيد خائنة أثيمة الا اذا كنت قد جلبتها معك فى زمرتك

أكتافيوس : وذلك ما أرجو لأنى ماولدت لأموت بسيف بروتاس

بروتاس : لو كنت أيها الحدث الغر أعرق البرايا مجداً ومحتداً لم تمت بأشرف من هذه وسيلة

كاشياس : تلميذ غر قد انضم اليه فاجر داعر !!

أنتونى : هو كاشياس الخرف ابداً

أكتافيوس : تعال بنا يا انتونى الى النزال أيها الخونة ان كان لكم قلب فتعالوا الى ساحة الوغى والا فإنَّا بكم متربصون

* يخرج اكتافيوس وأنتونى وجيشهما *

كاشياس : انفخى يا ريح وزمجرى يا أمواج وسيرى يا سفينة الحياة فقد عصفت العاصفة وأزفت الآزفة وأحدق الخطر من كل جانب

بروتاس : كلمة يالوسيلياس

لوسيلياس : * يتقدم * مولاى * يتحدث بروتاس ولوسيلياس على انفراد *

كاشياس : تعال ياميسالا اليوم يوم ميلادى ففى مثله ظهر كاشياس فى عالم الوجود هات يدك ياميسالا واشهد بأنى مثل پومبى على الرغم من ارادتى قد لجأت الى السيف معلقا عليه وحده فى هذه الموقعة خلاصنا وحريتنا انك لتعلم ياميسالا انى شديد التمسك بمبادئ « ابيقور » ولكنى اليوم قد تغيرت احوالى واصبحت فريسة الطيرة والفأل والسبب فى ذلك انه بينما كنا قادمين من «سارديس» نظرت فاذا نسران كبيران قويان قد حلقا ثم حطا على اللواء الامامى واخذا يأكلان إكلة الشره من أيدى جنودنا وبقيا معنا الى أن وصلنا « فيليباى » ثم اذا بهما قد طارا وجاء بدلهما فى هذا الصباح أغربة وحدأ أخذت تحوم من حولنا وتحلق فوق هاماتنا كأنما نحن فريسة فى النزع وكأنما ظلال تلك الطيور قبة القضاء والقدر قد خيمت على رؤوس الجيش وهو يرسل آخر الأنفاس

ميسالا : لا تستسلم لهذه الهواجس يا مولاى

كاشياس : أنا لا أركن اليها الا شيئاً قليلا لانى مدرع محصن ودم الهيجاء يتمشى فى عروقى فأنا عازم على مقارعة الأخطار

بروتاس : هو كذلك يا لوسيلياس

كاشياس : الآن يا مولاى بروتاس ابتهل الى الآلهة أن تيسر الأمور وتنعمنا بالسلم وتفسح لنا فى الأجل حتى نبلغ غاية الأمل ولكن بما أن القدر غيب فلا بأس من الاتفاق على أمر لو فشلنا فى هذه الموقعة وكان هذا آخر حديث لنا فما الذى تنوى عليه

بروتاس : بذلك العقل الرشيد الذى سفه عمل « كاتو » لما ركن الى الانتحار

جبنا وحمقا وهربا مما عساه قد يقع فى عالم الغيب بذلك العقل الرشيد سأحصن نفسى بعد أن أدرعها كذلك بالصبر الجميل وهكذا أبقى حتى يأذن الله بما يريد

كاشياس : اذن قد وطنت العزم على أن تقاد فى شوارع رومه مع الأسرى وجملة العبيد اذا ما نحن خسرنا هذه الموقعة

بروتاس : لا يا كشيـاس لا يدور بخلدك وأنت رومانى شهم أن بروتاس تسمح له نفسه بأن يقاد ذليلا صاغراً ان لبروتاس روحاً أسمى وأكبر ففى نفس ذلك اليوم يتصرم العهد الذى بدأ فى اليوم الخامس عشر من آذار واذ كنا غير واثقين من اللقيا بعد الآن فالوداع الوداع الأخير يا كاشياس ! الوداع الوداع الى الابد ! فان التقينا هللنا بالبشر والفرح والا فقدتم لنا الوداع

كاشياس : الوداع يابروتاس الى الابد ! وان التقينا هللنا بالبشر حقاً والا فقد تم الوداع حقاً

بروتاس : نادوا بالترحال آه لو يعلم الانسان آخر هذه الحرب اليوم ولكن كفى أنها اليوم حتما ستنتهى ويتجلى الأمر هيا بنا

* يخرجون *

المنظر الثانى

* نفس المنظر ، ساحة القتال . أذان . يدخل بروتاس وميسالا *

بروتاس : اركب ياميسالا اركب جوادك وأسرع بايصال هـذه الأوامر الى الفرقة بالجانب الآخر من الميدان * أذان شديد *

مرهم بالهجوم حالا لأنى أرى فرقة اكتافيوس متباطئـة فاذا دهمناها انكسرت وفشلت أسرع ياميسالا أسرع ومرهم بالهجوم * يخرج *

المنظر الثالث

* جهة أخرى من الميدان . أذان . يدخل كاشياس وتيتينياس *

كاشياس : انظر ياتيتينياس ان اللئام يفرون من القتال انى أسأت الى نفسى بل جنيت عليها جناية كبرى بقتلى حامل اللواء لما ركن الى الفرار

تيتينياس : لقد أذّن بروتاس بالحرب قبل أوانه وذلك أنه لما آنس تراخيا من جهة اكتافيوس أراد أن ينتهز الفرصة فدهمه وأقبل عسكره على الغنائم ولهوا بها بينما يحضرنا هنا أنتونى ويضايق أنفاسنا

* يدخل بنداراس *

بنداراس : فر يامولاى فر بحياتك لان مارك أنتونى قدأغار على جندك فر يامولاى واطلب النجاة

كاشياس : سأركن الى هذا التل فانه بعيد انظر ياتيتينياس أهذه خيامنا التى تشتعل فيها النار

تيتينياس : انها هى يا مولاى

كاشياس : اذا كنت تحبنى ياتيتينياس فاركب جوادك واهمزه حتى تمزق جوانبه أو تصل بنفسك الى تلك الخيام وآتنى بخبرها حتى يرتاح ضميرى وأعرف اذا كانت هذه جيوشنا أم جيوش العدو

تيتينياس : سأرجع اليك ولو برأى

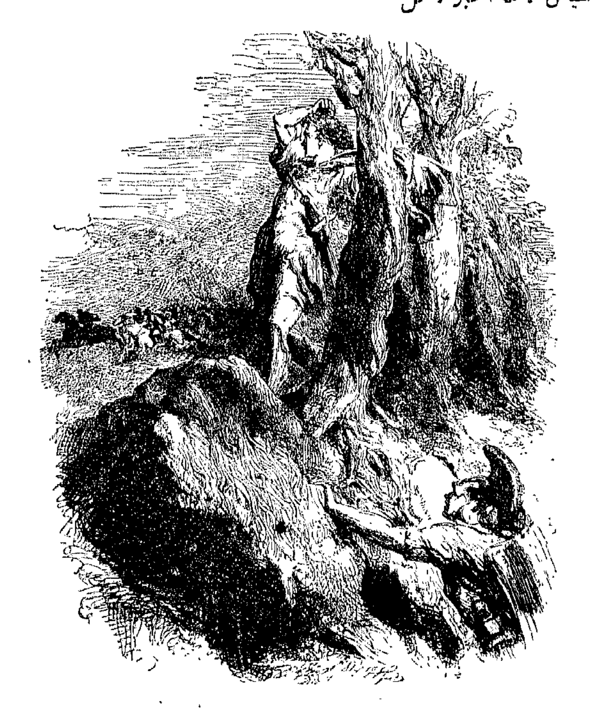
كاشياس : اصعد يابنداراس ذلك التل وارقب تيتينياس لأن نظرى ضعيف ثم أخبرنى بكل ما ترى فى الميدان * يصعد بنداراس التل *

آهٍ فى مثل هذا اليوم كنت أول النفاثين بالشر وها هى تلك قد دارت الدائرة

ومن حيث بدأت ستنتهى   لقد حم القضاء ولا مفر   ما الخبر يا بنداراس ؟

بنداراس : * من فوق التل *   واها يامولاى

كاشياس : ما الخبر ؟ قل



« لقد أحاطت بتيتينياس شرذمة من الفرسان . . . . »

بنداراس : * من فوق التل *   لقد أحاطت بتيتينياس شرذمة من الفرسان وهم يتعقبونه بأسرع من الريح   ولكنه مثابر فى الركض   ها هم أولاء قد كادوا يدركونه   هم ياتيتينياس الهمة الهمة   ان بعضهم قد ترجل   وها هو ذا قد ترجل أيضاً   لقد ألقوا القبض عليه * صياح *   انهم يصيحون و يهتفون بالنصر

كاشياس : كفى كفى ماقد رويت   ما أجبننى !   أوَ أعيش الى هذه البرهة

التى أرى فيها أعز أصدقائى قد أحيط به وأخذ أسيراً * ينزل بنداراس * تعال هنا يا بنداراس انى لما اخذتك أسيراً فى « بارذيا » استحلفتك بحياتك التى حافظت لك عليها أن تصدع بكل أمر يصدر لك منى مهما كان فتعال الآن و بر بيمينك فان فعلت فأنت حر من هذه اللحظة اطعنى بنفس الخنجر الذى دخل فى أحشاء قيصر لا أنتظر منك جوابا بل افعل فى الحال ما أكافك به ها خذ قبضته بيمينك فاذا ما أدرت وجهى هكذا . . فاطعن . . * يطعنه * قيصر ! لقد تم لك الثأر وبنفس الخنجر الذى طُعِنت به * يموت *

بنداراس : الآن أنا حر ولو طاوعت نفسى وتمنمت لما بلغت هذه الأمنية كاشياس ! خادمك بنداراس سيفر على وجهه فى هذه البرية حيث لا يعلم به رومانى .

* يخرج مهرولا ويعود تيتينياس مع ميسالا *

ميسالا : حقاً ان الحرب دول ياتيتينياس يهزم بروتاس اكتافيوس ويحاصر أنتونى كاشياس !!

تيتينياس : ان فى هذه الاخبار لسلوانا لكاشياس اذا سمعها

ميسالا : وابن تركته

تيتينياس : تركته هنا فى غاية الكرب وعبده بنداراس واقف على هذا التل

ميسالا : أليس هو ذا الطريح ؟

تيتينياس : كأنه ميت ياميسالا وامصيبتاه !

ميسالا : أهو ذا ؟

تيتينياس : لا ... بل هو بعينه ولكن كاشياس لم يبق بعد .. واأسفاه ..

ايهِ أيتهـا الشمس الآفلة ! تأفلين الليلة وأنت سابحة فى لهيب شعاعك ويأفل كاشياس وهو مضرج بدماه ! لقـد أفلتِ ياشمس رومـه وقضى الامر فياسحب خيمى ويا سماء أقلعى و يا أخطار أحـدق فقد قضى الامر . . . لا بد أن يكون عمله هذا نتيجة سوء ظن بما جرى لى

ميسالا . لقد حدا به الى ذلك يأسه من الانتصار * إيه ياضـلال ! ما أقبحك وأبغضك ! انت ابن الحزن والهم ! لماذا ايهـا الخدّاعة تخيل لعقول اليائسـين أشياء ليست من الحقيقة فى شىء تعسـاً لك وقبحاً فـما خلات بدار سعادة الا فتكت بصاحبها الذى آواك !

تيتينياس : يابنداراس بنداراس اين انت يابنداراس !

ميسالا : ابحث عنه ياتيتينياس حتى اذهب الى بروتاس فأقرع آذانه بوقر هذا الخبر الفاجع أقول أقرع وانا اعلم أن قراع الكتائب لأهون عليه من وقع هذا الخبر

تيتينياس : أسرع ياميسالا وسأبحث عن بنداراس فى فترة غيابك

* يخرج ميسالا *

ولماذا أرسلتنى يا كاشياس ؟ ! ألم أقابل أصحابك ؟ ! ألم يكللوا رأسى بهذا التاج من الورد وأمرونى أن أوصـله اليك ؟ ألم تسمع هتافهم ! ؟ وا أسفى لقـد أسأت الفهم والتأويل فلتحمل هـذا الاكليل يجلل جبهتك فقد أمرنى حبيبك بروتاس أن أتوج به جبينك وسأفعل مـا يريد تعال يابروتاس أسرع لترى اخلاصى وحبى لكاشياس عفواً ايتها الآلهة عفواً انما هذا واجب كل رومانى شهم تعال تعال ياسيف كاشياس وأدخل فى قلب تيتينياس

* يقتل نفسه *

* أذان — يعود ميسالا بروتاس وكاتو الصغير واستراتو وفوليومنياس ولوسيلياس *

بروتاس : اين ياميسالا أين الجثة ؟ !

ميسالا : ها هى تلك هناك وتيتينياس يبكى فوقها

بروتاس : بل تيتينياس ملقى على قفاه ! !

كاتو : بل هو مذبوح !

بروتاس : آه ياقيصر الا تزال قوياً مكيناً تجوس « روحك » خلالنا وتدحرنا بسيوفنا ! !

* أذان خفيف *

كاتو : ما أكبر قلبك ياتيتينياس انظر يامولاى تراه قد توج كاشياس كما أمرته

بروتاس : أيوجد فى الرومان اثنان كهذين ؟ ! الوداع ياآخر أبطال الرومان محال ان يجود الدهر بمثلك ياكاشياس يا أصحابى لا أجد من العبرات شافياً لى من حزنى على هذا البطل ولكننى سأنتهز الفرص هيا نبعث بجثته الى « ثاووس » ويحسن الا نقيم له جناز ولا نفشى خبره بين الجنود لئلا تثبط الهمة هيا بنا الى الوغى هيا يالوسيلياس ويا كاتو أذّن بالحرب يا « ليبيو » فنحن فى الساعة الثالثة سواعدكم معشر الرومان سواعدكم قبل دخول الليل وجر بواحظكم مرة أخرى

* يخرجون *

المنظر الرابع

« طرف آخر من الميدان . أذان . يدخل جماعة المحاربين من الصفين . ثم بروتاس وكاتو ولوسلياس وغيرهم »

بروتاس : تشجعوا يا اخوانى تشجعوا

كاتو : ومن ذا الوغد الزنيم الذى يتنحى من يتقدم معى أنا أذيع اسمى فى صفوف الأعداء وميادين الهيجاء مناديا : « أنا كاتو بن ماركاس كاتو عدو الظالمين وحبيب الوطن أنا بن ماركاس فاسمعوا وعوا »

بروتاس : وأنا بروتاس بن ماركاس بروتاس أنا بروتاس حبيب البلاد فاعرفونى * يخرج *

لوسيلياس : بأبى أنت يا كاتو لقد هلكت أيها الشاب الشهم متّ كما مات تيتينياس واحمل الشرف كل الشرف لأنك جدير به فأنت بن كاتو

الجندى الاول : سلم والا قبضت روحك

لوسيلياس : انما اسلم الحياة كى أموت خذ هذا واقتلنى * يعرض نقوداً * اقتلنى انا بروتاس اقتلنى تحز شرفاً كبيراً

الجندى الاول : اننا لا نقتل بروتاس بل نأخذه أسيراً وأعظم به من أسير

الجندى الثانى : افسحوا أيها الناس قولوا لأنتونى ان بروتاس قد أسر

الجندى الاول : انا أبلغه الخبر أولا هاهوذا القائد قد جاء ! * يدخل أنتونى * أسرنا بروتاس يامولاي أسرنا بروتاس

أنتونى : وأين هو !

لوسيلياس : هو فى امان يا انتونى نعم ان بروتاس فى مأمن حصين أوكد لك أنه ليس ثمة من عدو يمكن أن يقبض عليه الا آلهة تحفظه من العار والشنار فاذا وجدتموه حياً او ميتاً رأيتموه كما عهدتموه بروحه الكبيرة ونفسه العالية

أنتونى : ليس هذا بروتاس يا صاحِ ولكنه غنيمة ليست بأقل قيمة فتحفظوا عليه وعاملوه بالحسنى فكم أتمنى أن يكون لى مثل هؤلاء القوم أحباء

لا أعداء انشزوا فى كل جهة وفتشوا عن بروتاس لنعلم اذا كان حياً او ميتاً ثم ائتونى بخبر فى خيمة اكتافيوس * يخرجون *

المنظر الخامس

« جهة أخرى من الميدان . يدخل بروتاس . داردينياس . كايتاس . استراتو . وفوليوميناس »

بروتاس : تعالى ايتها البقية البـاقية من الأصحاب والأحبـاب استريحوا يا إخوانى على هذه الصخرة القريبة

كليتاس : لقد رأينـا « استاتيلياس » بالمشعل ولـكنه لم يرجع يامولاى فاما أسر أو ذبح

بروتاس : اقعد بنا يا كليتاس ... « الذبح » ! ... هو القول الشائع الآن على كل لسان ... اسمع يا كليتاس * يهمس فى أذنه *

كليتاس : ما ذا تقول ؟! أنا يا مولاى !! لا ولو تألب علىّ العالم

بروتاس : اذن فاسكت ولا تنبس ببنت شفه

كليتاس : انى لأوثر أن أذبح نفسى

بروتاس : اسمع يا داردينياس * يهمس بأذنه *

داردينياس : أو َأعمل هذا العمل الفظيع ! !

كليتاس : داردينياس !

داردينياس : كليتاس !

كليتاس : أى طلب سوء يلتمسه منك بروتاس ؟!

داردينياس : يطلب منى أن أقتله يا كليتاس ... انظر ... انه مطرق يفكر

كليتاس : لقد طفحت كأس الحزن ففاضت من عينيه

بروتاس : تعال يا فوليومنياس ... اسمع لى كلمة

فوليومنياس : بماذا يأمر مولاى

بروتاس : مرتين يا فوليومنياس مرتين بالليل قد رأيت فيهما « شبح قيصر » مرة فى « ساردبس » ومرة البارحة هنا فى « فيليباى » فأنا على يقين من دنو ساعتى

فوليومنياس : لا يا مولاى

بروتاس : انى متأكد مما أقول يا فوليومنياس وانك اترى بعينيك كيف دالت الدولة ودارت الدورة وصدنا العدو الى خنادقنا *اذان خفيف* فأولى أن يقذف الانسان بنفسه فى بحر الموت دون أن يتباطأ حتى يدفع اليه ويلقى فيه مرغماً . فوليومنياس ! أنت صديقى من عهد التلمذة فأرجوك بحق العشرة القديمة أن تمسك بقبضة سيفى حتى أجريه فىّ

فوليومنياس : ليست هذه وظيفة الأصدقاء يا مولاى *أذان مستمر*

كليتاس : الفرار الفرار يا مولاى يجب ألا نمكث هنا

بروتاس : الوداع الوداع وأنت يا فوليومنياس الوداع أكنت نائماً يا استراتو طول هذه المدة ؟ الوداع لك أيضاً يا استراتو انى يا أبناء وطنى لا أزال أشعر بدبيب الفرح يتمشى فى قلبى أن أرى من حولى الآن كل رجل حبيب ومخلص هذه مفخرتى فى هذا اليوم المشئوم ولهـا لأكبر من نصرة أنتونى وزميله فالوداع الوداع لكم جميعاً وقد ختمت لكم بلسانى تاريخ

حياتى * مالى ... انى أرى غشاوة على عينى كأنها كِسَفَ الليل ... لا بد أن أريح عظامى التى كم كدّت وشقيت

* أذان وصياح من الداخل بالفرار *

كليتاس : فر يامولاى وانج بنفسك

بروتاس : أأفر من هنا ؟ ! يخرج كليتاس وداردينياس وفوليومنياس أضّرع اليك ياأستراتو أن تبقى معى أنا مولاك وأنت رجل شهم ذو مروءة وحياتك كلها مكللة بالشرف والطهر أمسك لى هـذا السيف وأدر وجهك حتى أغمده فى أحشائى ألا تفعل يا استراتو . . . ؟

استراتوا : هات يدك أولا . الوداع ! . . .

بروتاس : الوداع يا اسـتراتو * يجرى الى السيف ويخر * . . . قيصر ! ! الآن فلتطمئن فلم أقتلك بأقل إرادة من هذه * يموت *

* أذان . رجوع . يدخل أكتافيوس وانتونى وميسالا ولوسيلياس والجيش *

اكتافيوس : من هذا الرجل ؟

ميسالا : هذا أحد رجال مولاى . . . استراتو ! . . . أين سيدك ؟

استراتو : لقد نجا ياميسالا من الأمر الذى وقعت فيه فلا يمكن للظافرين به الآن الا أن يحرقوه لقد غلب نفسه ولم يغلبه أحد

لوسيلياس : أهكذا أراك يابروتاس ولكنى أشكرك فقد حققت ظنى فيك

اكتافيوس : سآخذ من الآن جميع خدام بروتاس تحت كنفى أفلا تحب يا هذا أن تقوم فى خدمتى

استراتو : انى أرضى إذا نصح لى ميسالا بذلك

اكتافيوس : فلتوافق على ذلك ياميسالا

ميسالا : وكيف مات سيدى يا استراتو

استراتو : أمسكت له السيف فجرى اليه

ميسالا : اذن خذه فى خدمتك يا أكتافيوس فقد أسدى الى مولاى آخر خدمة ومروءة

أنتونى : هو ذا أشرف الرومان جميعاً كل أولئك القتلة السفاكون قد فعلوا فعلتهم بعامل الحسد والضغينة إلا هو فانه لم ينضم الى صفوفهم الا حبا فى الوطن وصالح البلاد كما زعم لقد حيي حياة صالحة طاهرة جمعت كل الشيم والمناقب والمفاخر فأشهد الملأ واشهدوا أنه شهم

اكتافيوس : اذن نجزيه على قدر مناقبه وصفاته الكريمة بما هو حرى به من الاجلال والاعظام ولنقم له فى خيمتى جميع مراسم العزاء وشعائر الحداد على أنه الجندى الباسل والشهم الصنديد . . . والآن أذنوا فى الجيش بأن تضع الحرب أوزارها واحتفلوا بمفاخر هذا اليوم السعيد

بحث تحليلى لأهم أشخاص الرواية وأجل حوادثها

(بقلم النابغة الـكاتب محمد كامل سليم بك)

يوليوس قيصر كما صوره شيكسبير :

لم يكن « يوليوس قيصر » فى هذه الرواية ذلك الجسور المقدام الذى تمثل لشيكسبير فى بعض رواياته الأخرى بل لم يكن ذلك الرجل الأشوس الذى يعرفه التاريخ ويعهده الماضى ايام كان برّاقا يملأ الدنيا هيبة ورهبـة وأيام كان ليث غاية وأخا غمرات وانما هو يوليوس قيصر الضعيف الخرف الصلف

عمد شيكسبير فى هذه الرواية إلى أضعف نواحى بطله فأظهر لنا معايبـه الشخصية ومناقصه الخلقية وأظهر كذلك خرف المتعجرف ولغة المتنطع وصوره لنا المتشائم المـذعور لا الشهم الثابت الصبور ولا العزّام الفعال الجسور ثم انه رغم تسمية الرواية باسمه تراه لا يظهر الا فى ثلاثة مناظر ويموت بافتتاح الفصل الثالث

أما « بروتاس » فانه على النقيض من ذلك كله تراه فيملأ ناظريك وتسمعـه فيملأ أذنيك وتدرسه فيملاء نفسك إعجابا ويفعم صدرك عقيدة بنبله وشجاعته واخلاصه وترى أمامك شخصية نقية واضحة الحدود ولعل ذلك كان إغراء كافياً لبعض النقاد بتفضيلهم تسميـة الرواية باسم هذا البطل الـكريم لو أتيح لهم ذلك

غير أن فى المسألة سراً غاب عنهم فلم يفطنوا له ذلك أن شيكسبير أراد أن يجعل قضية الجمهور بين موضوع روايته فصوّر قيصر فى هذه الصورة وقد نبذه الى مكانة ثانوية وأبرزه فى شكل يغرى بالتآمر عليه والفتك به صوّره لا كما كان

فى أعين محبيه وأنصاره وانما كا تخيله المتآمرون حتى نراه بعيونهم لا بعيوننا وبذلك يكون حكمنا عليهم أدنى ما يكون من العدل والصواب على أنه مع ذلك جعل « روح قيصر » تسيطر على المأساة كلها فتراها قوة جاذبة يدين لها ويخضع لسلطانها كل أشخاص الرواية ولو تريث الناقد فى حكمه لوجد أن بروتاس ما أعلن هذه الحرب الدموية الا على هذه الروح الطاغية وأنه ما فشل الا لطعنه قيصر فى جسمه لا فى روحه فتمزق الجسد البالى و بقيت تلك الروح أقوى ما تكون وأطغى وأبلغ فى التأثير فى الجماهير وأبقى وقد حطمت المتآمرين وشردت بالسفاكين وانتقمت من السفاحين تلك هى الروح المتقدة التى حرقت كل أعدائها وما كان خطأ بروتاس الا فى عجزه عن معرفة مقر تلك القوة القيصرية الحقيقية ولقد صدق مارك أنتونى وهو أمام جثة مولاه اذ قال :

* « هنا فوق جروحك أنذر العباد . . . بما سينزل بهم من سخط ولعنات وما سيحتدم بينهم من عداء وشجار وما ستشب فيهم من نيران ولظى وما سينشب فى جمعهم من حروب ووغى تسفر عن أقوام صرعى فلا يرى الرائى الا دماراً ودماً . . . حينذاك ترفرف روح قيصر مؤذنة بشر جسيم ويحلق بجانبها انتقام قُدَّ من جحيم يبسط جناحيه على هذه الآفاق ويصيح بالويل والثبور فتندلع كلاب الحرب تنهش جيفاً تئن فى طلب الدفن ولا سميع »

هذا وشبح قيصر الذى يبدو فى الليلة السابقة لمعركة فيلبى مثل آخر نثبت به هنا قوة روح قيصر الهائلة وان كاشياس ليرسل آخر انفاسه وفى فمه هذه الكلمات :

« قيصر ! لقد تم لك الثأر وبنفس الخنجر الذى طعنت به » ويشرف بروتاس على وجه صاحبه المنتحر الصريع فينطلق لسانه بقوله « أواه يا قيصر ! ألا تزال قويا مكينا تجوس روحك خلالنا وتدحرنا بسيوفنا »

---

* العبارات بين العلامات مقتبسات من التعريب

ثم بعد الهزيمة المنكرة التى نكب بها بروتاس على أيدى أعدائه الذين استخف بهم وظن انه بضربة عنيفة يأتى عليهم وينكل بهم تراه يستقبل الموت بصدر الشهم الرحيب مناديا :

« قيصر ! الآن فلتطمئن انى لم اقتلك بأقل ارادة من هذه . . . . »

الى هنا ينتهى العراك ويموت بروتاس وينهض اكتافيوس اقطف ثمار تلك البذور التى نثرها سلفه العظيم

ومن هذا كله ترى وفاقاً تاماً بين اسم الرواية ومضمونها بل لا ترى أحكم من ذلك ولا أصح فاذا قرأت هـذه المأساة فى ضوء هـذه الحقيقة لم يبق موضع الشك والابهام

خلاصة الرواية :

تبدأ الرواية بمنظر يجمع بين مزيتين : الأولى أنه يؤدى بطبعه الى ما سيتتابع فى الرواية من الحوادث والثانية أنه يمثل لنا نفسية ذلك الشعب وروح ذلك العصر فترى فى مستهل ذلك المنظر جماعة من العامة « قد عطلوا أعمالهم لكى يحظوا برؤية قيصر ويحتفلوا بظفره وانتصاره » وتراهم ملأوا الطريق حتى سال بهم وترى زعماءهم قائمين بينهم يلومونهم على ذبذبتهم وتضارب أهوائهم فى الابتهاج بقدوم قيصر الى روميه « وقد رجع فائزاً منصوراً على أولاد بومبى » بل عاد فائزاً مظفراً على من كان بالأمس الههم المعبود ينال منهم هذا التقريع فيتبدد شملهم ويذوب جمعهم . . تلك الذبذبة وتقلب الأهواء ونكران الجميل كانت الخلق الراسخ فى قرارة نفسية تلك الجماعة وإنك لتكاد تلمسه بيدك عند مصرع قيصر وقد كانوا من قبل بين عابد له ومعجب به وحريص عليه . . فما أكبر الفرق بين هذا المنظر وبين أخيه الذى تستهل به رواية « كوريوليناس » ! ! على أنك مع هذا لا تجد العامة هناك أقل تقلباً ولا اكثر ثباتاً اذ بينماهم اليوم يصبون اللعنات

« على كياس مارشياس » اذا بهم قد انتخبوه قنصلا فى اليوم التالى بيد أنك لا يسعك بالرغم من هذا الا أن تلمح فيهم روح الاستقلال فى الرأى تبدو خلال اضطراب نفوسهم وذبذبتها لا كأحفادهم فى عصر قيصر ذلت نفوسهم فاستكانوا وكانوا ألاعيب فى أيدى الزعماء

جهلوا الحرية جميعاً فلم يفقهوا لها عزاً وألفوا العبودية فلم يعرفوا لها ذلا أرادوا العيش المجرد فما رأوا بهم حاجة الا الى رجل يتولى أمرهم ويأخذهم بالنواصى جاءهم بومبى فملأ عيونهم واستحوذ على رضاهم وما عتم أن هوى أمام قيصر حتى انفضوا من حوله وهتفوا للبطل الجديد الذى بهرهم فوزه وراعتهم سطوته فلما مضى قيصر كما مضى سلفه حصروا اعجابهم فى اكتافيوس الناهض الذى أخذ بريقه يغشى أبصارهم ويعمى بصائرهم فأمسوا لا يعبدون عظمة الا عظمته ولا قدرة الا قدرته . . لم تكن هذه الحال السوآى حالهم وحدهم بل شملت وكلاءهم كذلك اذ كانوا فى مبدأ نشأتهم غيرهم فى العصر الأخير كانوا أولاً قواد الشعب المتمردين وكانوا أشد الناس كراهيـة للأشراف وأشد ما يكونون رغبة فى النهوض الى مصافهم وتضييق دائرة نفوذهم فلما أدركوا ذلك فى العصر الأخير وأصبحوا أمتن الحكام قوة وأبعدهم سطوة صعروا خدودهم واستباحوا حمى الشعب ورمقوه بعين الازدراء وما كرهوا قط أن يروا السلطة المطلقة قد استأثر بها فرد واحد وانما كرهوا أن ينصروها فى شخص قيصر بعد بومبى

يبـدأ الفصل الثـانى باحتفال « اللوبركال » وبظهور قيصر للمرة الأولى على المسرح وهو لا ينطق الا هجرا ولا يمشى الا كبرا يسـير قيصر واذا بعراف يعالج الخروج اليه من وسط الجمع المحتشد منادياً محذراً بصوت عال : « اياك واليوم الخامس عشر من آذار » يقف قيصر و يستقـدمه ويستعيده و يتفرس فى وجهه مليا فينكر طلعته ويشيح عنه بوجهـه محتقراً له احتقار السيد المتعـالى قائلا :

« انه حالم فاتركوه وهيا بنا »

يخرج قيصر بعد ذلك ويبقى بروتاس وكاشياس يتناجيان وينصرف كاشياس بما أوتى من قوة البيان وذلاقة اللسان الى واجبه مشدداً له حيازيمه اغراء لصاحبه بضرورة اغتيال قيصر وان كان الاغتيال فى نفسه أمراً ميسوراً من غير أن يكون لبروتاس ضلع فيه غير أن كاشياس العميق النظرات البعيد الجولات يرى بثاقب نظره أهمية وجود بروتاس ضمن جماعة المتآمرين لما هو مشهور عنه من شرف المحتد ونبالة القصد ونقاء الحياة وطهارة السيرة وهى صفات لم تتوافر لكاشياس ولا لذنب من أذنابه ... لا مندوحة للسفاحين عن اكتساب هذه الشخصية الفاضلة الغراء التى تنبض شرفاً ووطنية وتفيض كمالا وأريحية وتهتز جوانحها الكريمة شغفاً بالحرية وتتحمس أكبر حماسة فى الذود عنها حتى شغلت بحق من نفوس الناس أسمى مكانة وراح الشعب يضرب الأمثال بنزاهتها وحبها للخير والفضيلة . . . . شخصية هذه حالها وعناصرها تستطيع اذا اكتسبها السفاكون الى صفوفهم أن تبعد عنهم تهماً هم حذرون منها وأن تبرر عملا دمويا كالذى هم بصدده بل هى لا شك تستطيع أن تكون بلسم الشعب المجروح وماء شبما قراحا لكبده الحرّى ... وأما كاشياس فهو الرجل الفعال ثاقب الرأى « نقادة يسبر بصائب نظراته غور الأعمال وأعماق الرجال » داهية فى فنون الحرب وطرائقها ينهض فى الأزمة اذا نزلت و يشتد فى الواقعة اذا وقعت بيد أن كرهه المعروف لقيصر وحسده اياه جعلاه لا يستطيع أن يكيد له دون أن يتهم فى عمله ودعواه حين يقول أنه فعل ما فعل بوازع الوطنية الخالصة المجردة من الأغراض الشخصية لذلك كان حتما عليه إبقاء على سمعته ومكانته ونفسه أن يكسب بروتاس الى جانبه ولكنه يعلم علم اليقين أن مثل هذه الشخصية الطاهرة لا يمكن أن تلقح بالمشاعر الخبيثة المشنوءة من حقد وحسد وانتقام وهى المشاعر التى كانت قطعة من نفسه المريضة لذلك تراه يتقرب من بروتاس وهو متيقظ متحفظ و يفزع الى أضعف نواحى نفس ذلك البطل فيناجى

محبته لوطنه ويستثير حرصه على خير قومه وبغضه للسلطة المطلقة ويتزلف اليه بألين الملق وأنعم الدهان ويسترسل فى التحقير من شخص قيصر ويثبت فى الوقت عينه خطره الداهم وسلطانه الساحق بما سيتجمع فى يديه من قوة طاغية غشومة كل ذلك يقال وكاشياس حذر لا يميط اللثام عن وجه المؤامرة الأحمر القانى فتغلى فى بروتاس مراجل الفكر وتهتم نفسه للحوادث اهتماماً أمل الكشف والخلاص من ذلك البلاء الداهم حينذاك يدخل قيصر على رأس حاشيته وقد انفضت حفلة الألعاب حتى اذا بصر بكاشياس لم يتمالك أن يصفه لأنتونى مستشعراً بما فيه من خطر ودهاء على أنه يختم كلامه تياها مزهوا فيقول وقد ورم أنفه : « إنى انما أقول لك ما يُهاب لا ما أهاب فانما أنا دائماً قيصر » .

يخرج قيصر وحاشيته ويتخلف كاسكا فيقص لصاحبيه ما جرى من أمر تقديم التاج الى قيصر مرات ثلاث وكيف تنحى عنه تظاهراً بالرفض وهو به مشغوف وله تائق وكيف علا هتاف الشعب أثر ذلك وكيف خر قيصر مغشياً عليه وكيف كان يتحبب ويتواضع رغبة منه فى اجتذاب ذلك القطيع الآدمى !! هنا يفترق بروتاس وكاشياس على أن يتقابلا فى الغد بروتاس واعداً أن يصغى الى بلبل شجاه وكاشياس مهنئا نفسه بما جدَّ من أمل وما أدراك من نجاح

يبدأ الفصل الثالث بحديث بين كاسكا وشيشرون على الغرائب والخوارق التى شوهدت فى ذلك اليوم فيصف « عاصفة تمطر نيراناً وشهبا » وعبداً عمد يده اليسرى « فتلتهب وتتقد كأنما هى عشرون مشعلا وهى مع ذلك لم تلفحها النار » و « أسداً ازاء دار الحكومة » و « رجالا تكتنفهم النيران يروحون ويغدون فى الطرقات » و « البوم ينعق فوق الأسواق وقت الظهيرة » وما الى ذلك من الخوارق التى هى فى نظر كاسكا نذُر سوء « تنبىء عن أمر هام وخطب جلل » . ينصرف بعد ذلك شيشرون وينضم كاشياس الى كاسكا ويخوضان فى

تعليل ما شوهد ولا يبذل كاشياس مجهوداً فى اقناع صاحبه بقرب الخلاص من قيصر ولا يجد عناء فى إغرائه بالانضمام الى المؤامرة

فى الليلة عينها فى مطلع المنظر الثانى ترى بروتاس مهموماً مفكراً فى التخلص من قيصر ويقول لنفسه « لا بد من موته » هكذا فعل السم الزعاف الذى نفثه الأرقم كاشياس ولقح به عقل بروتاس حتى أجراه فى الاتجاه الذى شاءه وشاءته المؤامرة يقف هذا الرجل الأمثل أمام هذه المعضلة فتراه لا يكاد يعبأ بالحقائق الواقعة قدر ما يُعنى بالمبادىء والنظريات يزن فى نفسه شخصية قيصر واستعدادها لما قد تحدثه السلطة المطلقة فيها من التغيير والتحوير ويزن كذلك ما قد ينجم عن هذا من الأخطار الساحقة التى تهدد الحرية المقدسة يعمل الفكر ويطيل النظر ويزداد تدهوراً فى هذا المنزلق السحيق بورود رسائل اليه قد دسها كاشياس عليه فيحسبها آتية من مواطنيه يستصرخونه ويستنفرونه يوقظون فيه حمية الوطنية «لتخليص رومه» من ظلم قيصر وعتوه المنتظر الأكيد هكذا قضت طيبة نفس هذا الرجل أن يُخدع وأن يغرر به الى هذا الحد وهكذا يقتنع مدراجه بقداسة الواجب الذى أصبح على عاتقه والذى لا سبيل الى تأديته بغير تضحية قيصر رغم كل اعتبار — لا يكاد يصل الى حكمه هذا حتى يسمع بمقدم كاشياس وباقى المتآمرين يدخلون جميعاً عليه وبعد أن تجرى مراسم التعارف مجراها يقترح كاشياس أن يرتبطوا حزمة قوية لا تتفكك بحبل من صادق العهد والميثاق أو تدرك غايتهم فلا يجد هذا المقترح الا نفساً نافرة من بروتاس ذلك لأنه يرى من قداسة الواجب الملقى عليهم ما لا يصح أن يوصم بضمان واه من العهود والمواثيق وإن غلظت لأنه واجب شريف يشعل القلب ويستنفز العزائم بطابعه وهو فى نفسه خير ضامن وأكبر كفيل وأما الأيمان والعهود فانها « للقسيسين والجبناء والخدعة المراوغين والقعدة المستضعفين وغيرهم من البائسين الذين ألفوا الخنوع وجنحوا الى الذل يحلف هؤلاء بالباطل لأنهم فى شك من أمرهم » ثم يناشدهم بقوله :

« إياكم ان تشوهوا الحق المحض الذى نستمسك به فى جهادنا والحمية الصادقة التى تجرى فى دمائنا بتعليقكم هذه المهمة على يمين نحلفها »

اى والله هذه غضبة الشريف وزفرة النزيه لا ضرر منها ولا ضرار واما المتآمرون فشأنهم غير شأنه لا يحدو بعضهم الى بعض الا رذيلة مشتركة ولا يخالجهم الا ضعف الثقة وسوء الدخلة وكلهم منتظر منه الخون مستبعد عليه الوفاء لذلك كان حرصهم على القسم والميثاق عظيما

على أن كاشياس كان دائما فى كل حادثة خلافية أبعد نظراً وأصح عاقبة من صاحبه فهو الذى أشار بقتل أنتونى صديق قيصر الحميم فقاومه بروتاس الذى لا ينظر بعيداً فى السياسة وأمور الحياة فتسمع بروتاس يقول « ان عملنا يكون دموياً فظيعا يا كاشياس أن نقطع الرأس ثم نبتر بقية الأعضاء كأن يقضى الجانى مأربه ثم ينقلب على فريسته يسومها سوء العذاب وهل انتونى الا فلذة من جسم قيصر ؟ كلا يا كاشياس انما يجب أن نظهر بمظهر الفادين لا الجزارين نحن انما نحارب روح قيصر وفى أرواح البشر لا توجد دماء ! ليتنا نستطيع أن نقبض روح قيصر من غير أن نفتك بجسمه ولكن ذلك مستحيل» بهذا المسلك يظن بروتاس أنهم يظهرون « كراما بررة لا قتلة شررة » واما انتنيوس فانه « كالذرة من جسم قيصر اذا قطع الرأس فلا حول لها ولا قوة »

هنا أمام التيار المعنوى الحار وأمام هذه الشخصية الصلبة لا يسع كاشياس الا أن يلين ويستكين ويتقاصر فيعتدل صعره وتلين مجسته وليست هذه الأولى ولا الأخيرة فى تنازل كاشياس عن القيادة لصاحبه

والآن وقد تم القرار على خطة العمل ينصرف المتآمرون لاقتياد قيصر الى الديوان ويتركون بروتاس ليلحق بهم ثانية هناك وفى هذه الساعة وقد أجفل الليل وتنفس الصبح تخرج « بورشيا » باحثة عن زوجها بروتاس وقد بكر من

فراشها فتسأله عما عسى أن يكون سبب خروجه قبل أن ينض النهار جيدا ويعد تليله وتستحلفه بحق المحبة الزوجية أن يكشف لها عن سره وأن يبوح لهـا بهمه. فلا يطيعها بروتاس لما فى اجابتها من أسباب الاقلاق مالا قبل لها به على أن « ابنة كاتو » امرأة سليلة فى المجد عريقة فى الحسب لهـا من الخلق المتين والعقل الرجيح الحظ الوفير أرادت مرة أن تظهر عزيمتها وثباتها فجرحت فخذها واحتملت ألمه بصبر الرواقيين وأثبتت صبرها مرة أخرى بابتلاعهـا نارا حين بلغها نعى زوجها بيد أنها مع كل ذلك امرأة يبدو ضعفها النسوى اذا ما رأت من تحب قد وقع فى خطر عرف ذلك فيها زوجها فرآى من صالحها أن يحبس عنهـا ما هى تواقة الى معرفته وتخلص من الحافها بأعذار ووعود

يريك المنظر الثانى قيصر مترددا أيذهب الى الديوان أم يقبـع فى بيته ويريك هو اجس « كالبيرنيا » زوجته تناشده الله الا يبرح مخبأه ذلك النهـار فيجيبها بشمخ وصلف « لابد من الخروج لأن تلك الأشياء التى تهددنى انما تحوم من خلفى فاذا ما أقبلتُ اليها بوجهى ولت مدبرة ولم تعقب » . . ولـكن لا راحة لـكالبيرنيا ولا سلوان اذا خرج زوجها فتراها تلح وتلحف فى بقـائه وتسهب فى وصف الخوارق التى حدثت فى الليل فيسخر قيصر من الخوف ويهزأ بالتفكير فيه ثم يعود الخادم من لدى العرافين يحمل نصحهم له بعدم مبارحة بيته فلا يزداد قيصر الا عناداً ولا للأخطار الا ازدراء ويقول متطاولا « ان المخاطر لتعلم يقينا أن قيصر أشد منها خطرا نحن أسدان ولدنا فى يوم واحد ولـكننى انا الأكبر والأشد بطشا وقيصر سيخرج حتما »

على أنه بعد برهة تلين قناته ويخضع لرجاء زوجه ويرضى أن يكون انتونى رسوله الى مجلس الشيوخ حاملا نبأ توعكه المزعوم ولكن لايكاد يرضى بذلك حتى يدخل «ديشياس» مستعجلا مولاه الى المجلس فيكل اليه قيصر هذه المهمة بدل انتونى دون أن يدلى اليه بسبب يتذرع به لدى المجلس ويقول متعجرفاً

« ان السبب هو محض ارادتى فانى لا أريد الحضور وفى هـذا القدر كفاية للأعضاء »

غير أن قيصر ارضاء لديشياس وحده يتفضل بشرح سبب امتناعه وهو ان زوجته فزعت وهلعت من حلم فظيع فاضطر لطمأنينتها أن يظل فى بيتـه ليريح ضمـيرها من قلقه ويزيح عنها كابوس الوهم الثقيل يسمع ذلك ديشياس — وهو الذى رأينا فى المنظر السابق يفخر بمعرفته كيف يسوغ الأمور لقيصر ويطعمه ملقاً ورياء فيأخذ فى تفسير ذلك الحلم بشكل حبيب الى النفس ثم يقول « ان المجلس قد قرر اليوم أن يسدى اليك يامولاى قيصر تاجاً فان بعثت اليهم بعدم حضورك ربما عدلوا عن رأيهم فضلا عن أنك ستكون هدف السخرية من كل حى إذ يقول الناس انك خائف وجـل من حلم وخرافة يضطرب قيصر من جـديد ويتردد ولا يستطيع هـذه الحجج دفعـاً ولا يفقه اسالف الوهم وقعا فيرضى بالخروج

وبينما هو يتحفز له يدخل بروتاس وسـائر المتآمرين وفى عقبهم انتونى لاصطحابه الى الديوان وأخـيرا يختم هـذا الفصل بحديث يدور بين بورشيـا وهى مذعورة منخوبة متطيرة وبين عراف سمـع بالمؤامرة وعزم على إفشائها الى قيصر قبل أن يصـل الديوان وبذهاب العراف الى غايته تحملنا الرواية الى الفصل الثالث

عبثاً يحاول العراف أن يغرى قيصر بقراءة رقعته الهادية المنذرة ولما ناشده أن يطلع عليها أولا لأنها أخص به أجابه قيصر : « ان مايخصنا نحن انما ننظر فيه آخرا » ثم يطويها انفاذا للقضاء المحتوم يدخل الديوان والمتآمرون حوله فينبرى له أحدهم « متالاس سمبر » مستعطفاً اياه فى ارجاع أخيه من منفاه فيسلقه قيصر بلسان من نار على ركوعه وخنوعـه وتمسحه وريائه ثم يضرب برجائه عرض الحائط فيتقدم كاشياس وبروتاس ضامـين صوتهما الى زميلها فيجيبهم قيصر

« كنت ألين لو أني على شاكلتكم » ثم يسترسل في وصف ثباته ناسيا او متناسيا ما كان من امر تردده المخجل الماضي فيقول « اني ثابت كنجمة القطب » يتقدم بالرجاء بعد كل ذلك « سنا وديشياس » فكأنما يناديان صخراً أو يزحزحان جبلا والآن تبدأ المأساة الدموية المريعة يطعنه كاسكا أولا ثم باقي العصبة وفي آخرهم بروتاس ثلاثة وثلاثون جرحا بليغا يهوي على أثرها هذا الصرح الشامخ وتفيض هذه الروح الهائلة في سفل تمثال بومبي وقضي الأمر كما شاءت المؤامرة وانطلق الناس بين هالع وراكع وبين طائر وواقع والمتآمرون يهدئون الناس ويخطبون وبعد قليل يتقدم خادم أنتوني برسالة من سيده الى بروتاس راجيا اياه أن يسمح له بالمثول بين يديه فيسمح ويحضر أنتوني باكيا سيده المحبوب وآملا من المتآمرين أن يصرحوا له ان يزفر زفرته ويلفظ لوعته فيفتح له بروتاس ذراعيه ويؤكد له بسذاجة الغرير عطفه عليه وميله اليه وحسن ظنه به ويعده أن يوقفه « على حقيقة الأمر الذي من أجله قد طعنتُ قيصر بيدي وأنا صفيه وخليله » ولكن كاشياس لا ينزعزع عن سوء ظنه بأنتوني ولا عن مخاوفه منه واما انتوني فبعد أن يبدي شجنه ويكشف عن صدره اللثاع يندفع في النـدب والعويل بفصاحة سحبانية وينجح في احراز الأذن من بروتاس ليجري « مراسم الرثاء على منبر التأبين » هنا مرة أخرى يتنازع كاشياس وبروتاس على الأذن له وهنا مرة أخرى ينهزم كاشياس ولا يستطيع اقناع صاحبه ومغالبة رأيه وإرادته فيسكت كاشياس على الرغم منه وينتهي الأمر بالسماح لانتوني أن يخطب الناس بعد أن يسرد بروتاس الأسباب التي أدت الى قتل قيصر

تظهر الخطبتان في المنظر التالي حيث يبدو في أجلى مظهر جهل بروتاس بالطبيعة البشرية فتراه واقفا وسط الجموع المائجة الشاكية يصطنع المنطق الصحيح أمام هذه الغمرة المهتاجة العواطف المتقلبة الأهواء يدلي بحججه المتماسكة كما لو كان أمام زمرة من الفلاسفة أمثاله فلا يلجأ الى الخيال فيوقظه ولا الى الفصاحة

فيستمد منها العون. ولا الى التمثيل فى الحركات أو الشجو فى الرنات فيجتذب ما نفر من القلوب ويسترجع ما شرد من النفوس لا شيء من ذلك يعرف بل لا يكاد يؤمن الا بالعدالة المجردة ذلك لانه يرى فيها القوة الجارفة بل الكفاية والغناء حتى مع السذج من الدهماء تجده لايتهم قيصر باكثر من « الطمع » ولا يروى عن أخطاره الا تهديده « الحرية » وتراه يفزع الى الايجاز والمنطق معتقدا فيهما كمال العدة لادراك بغيته كان قيصر حبيبه فهو يبكيه كان سعيدا مجدودا فهو يهنيه كان شجاعا مقداما فهو يطريه ولكن لما كان جشماً « طماعاً » فهو يذبحه ويفنيه

تلك سلسلة نتائج منطقية وفى سردها على هذه الصورة كما يزعم الاقناع والكفاية ذلك لأنه لا يرى عذابا شرا من الأسر ولا ضعة شرا من الرق ويحسب الناس جميعا قد نزعوا نزعته واعتنقوا عقيدته وترى خياله قد تعثر فلا يساعده البتة على أن يتصور رومانيا حقيقيا ذلت نفسه أو جبن قلبه أو بلغت به الأنانية الى غير حدود الايثار لهذا تراه لا يطيق أن تصبح الحرية والاستقلال والوطنية فى يد رجل غاشم يحاول انتقاصها من أطرافها ذلك هو بروتاس فهل يستطيع شعب كالشعب الرومانى اذ ذاك وقد انحطت مداركه واستعبدت ارادته أن يفقه هذه الغضبة الكبرى والثورة العظمى على الظلم والاسترقاق وان فقهها فهل يدوم أثرها فى نفسه ؟ ترى جواب ذلك فيما أحدثته كلمات أنتونى من السحر والتغيير على أن بروتاس قد فاز برضى الشعب واعجابه فوزاً وقتيا حتى نادوا « ليعش بروتاس ولنقم له تمثالا » .

وهكذا ظنت الفضيلة الساذجة أنها قد امتلكت النفوس واستلبت القلوب وأيقنت أن كل ما يمكن أن يقوله أنتونى من بعدها سيكون كايلا منقوضا ومن أنتونى ؟ أليس هو الساذج الغمر الذى « لا يميل الا الى اللهو واللعب ولا يصبو الا الى الموسيقى » أليس هو « فلذة من جسم قيصر » لا اكثر ولا أقل فأى

خطر يمكن أن ينجم على يديه . هكذا يستخف به بروتاس ويسمح له بالتأبين فيدفع نظير قصر نظره هذا وقلة خبرته ثمناً غالياً من العواقب المرة

والآن يقف « الفاجر المقوت » « انتونى » أمام هذه الانسانية المتجهمة المتبرمة المتسخطة يريد تأبين قيصر ويقوم له بحق الولاء — فما أشقه واجباً وما أحرجه موقفاً ! لقد شهد بنفسه الأثر الوقتى لكلمات بروتاس ورأى كيف أنه برجاء من بروتاس وحده سمح له الشعب أن ينصت اليه ويسمع ما عسى أن يقوله ولكنه مع كل هذا عليم بطبيعة سامعيه وعليم بقصر أجل أحكم الكلمات فى نفوسهم فتجده ينحط صخراً على تهمة « الطمع » التى بنى عليها بروتاس الملالى وأردى بسببها قيصر فيسأل سامعيه عن نصيب هذه التهمة من الصحة ويشير فى الوقت ذاته الى أفعال قيصر فيقول « أتاكم بالأسرى مكبلين فملأت دياتهم بيت المال فهل كان فى عمله هذا ما ينبىء عن طمع كان قيصر يبكى شفقة ورحمة كلما أذرفت الفقراء دموع الفاقة والاملاق وغهدى بالطماع أخشن طبعاً وأغلظ كبداً ولكن بروتاس يقول إنه طماع وبروتاس كما تعلمون رجل الفضل والشرف ألم تروا أنى عرضت عليه التاج ثلاث مرات فى لوبركال فكان يرفضه فى كل مرة فهل كان هذا لطمع فيه ومع ذلك فبروتاس يقول إنه طماع وبروتاس رجل الفضل والشرف لا أريد أيها السادة أن أدحض دليل بروتاس ولا أن أقارعه الحجة بالحجة وانما أقول ما أعرفه من الحق الصراح لقد كنتم تحبون قيصر حبا جما فهل كان ذا من غير داع وبلا مسوغ اذن ما الذى يمنعكم الآن أن تقيموا عليه شعار الحداد » هنا سكت انتونى قليلا كأنما قد غلبه احساس دافق وحزن حار وعاطفة خانقة يفعل ذلك ليترك ألفاظه تفعل سحرها وتظهر أثرها فيبصر انقلاب التيار بعد أن أزجى اليهم حرارة صدره وتوهج نفسه وأجرى السخرية فى قوله على تهمة الطمع وخالقيها ويرى كيف تزعزعت عقيدتهم التى غرسها فيهم بروتاس فيغتبط بذلك ويستبشر ثم يستأنف القول فيقارن بين مكانة قيصر فى أمسه حين

كانت كلمته « تقيم العالم وتقعده » وبين مكانه الحاضر وهو « طريح الثرى لا يأبه به أحقر حقير » ثم يبرز وصية قيصر ويتظاهر أن ليس فى نيته أن يقرأها عليهم خشية العواقب فيناديهم « صبراً أيها الأخوان صبراً يجب ألا أقرأ الوصية لأنه ليس من صالحكم أن تعلموا كيف كان قيصر يعزكم ويتفانى فى حبكم فلستم أحجاراً صلبة ولا خشباً مسنّدة وانما أنتم رجال فاذا سمعتم وصية قيصر التهبت قلوبكم واستشطتم بل جننتم فأولى لكم ألا تعلموا بأنكم انتم ورثته لأنكم اذا علمتم فيالهول العاقبة ! » ذلك عذر انتونى فى الامتناع عن قراءة الوصية وهو كما ترى لا يزيد النار الا اشتعالا ولا الشعب الا إصرارا والآن يدرك انتونى أنه قد « كسب اليوم » على أنه مع هذا يريد ان يُحكم حلقة الفوز المبين بأن يزيد إيغار صدور سامعيه واهاجة خواطرهم الى حد الجنون لذلك تراه يسألهم أن يلتفوا حول جثة قيصر « ليريهم ذلك الذى قد ترك الوصية لهم » حتى اذا أطاعوه تدفقت فصاحته وتهدرت شقاشقه فى وصف الجروح العديدة التى فاضت منها الحياة يكشف انتونى القباء عن جسد قيصر الممزق ذلك القباء الذى لبسه قيصر لأول مرة يوم دحر أهل « نرفا » فى احدى معاركه ويناديهم « الا فانظروا اليه وقد فتكت به أيدى الخائنين » بهذا يسيل ما كان جامداً ويثور ما كان خامدا ويطيع من كان عاصيا ويضطرب من كان ساجيا وبهذا تبلغ الموجة غاربها وتتصاعد لفظة « الخائنين » من أفواه الحاضرين ويصرخ الناس « الانتقام الانتقام !! ابحثوا عنهم حرّقوهم قتّلوهم ذبّحوهم اقضوا على الخونة الجناة » ثم يهرعون الى كل مكان منادين بالثورة والانتقام ناسين الوصية كل النسيان ولكن انتونى اليقظ لا تفوته فرصة ولا يرضيه بطبيعة الحال أن تكون فى يديه وسيلة من وسائل التهييج والاشعال دون ان يستعملها أو يلجأ اليها تلك هى الوصية التى ستغذى لا محالة نار تلك الصدور الموقدة حتى تصبح كل نفس جهنماً وسعيراً

يخبرهم انتونى أنه لم يكن يقصد أن تهيجهم كلماته الى هذا الحد ويلمح فى الوقت عينه

الى أن موت قيصر لم يكن الا عن حقد شخصى وحزازات دنيئة لا عن شعور بالواجب القومى الشريف ثم يزعم أنه ما جاء ليسحر قلوبهم ويخلب ألبابهم ويأسف أن لو كان خطيباً مفوهاً كبروتاس وآخر ما يصل اليه فى مهمته كشفه القناع عن الوصية فيقول : «إنه قد ترك لكم جميع رياضه وغياضه و بساتينه الخاصة على شط « نهر تيبر » كل ذلك قد تركه لكم ولأولادكم من بعدكم كى تمرحوا فيه وتفرجوا عن أنفسكم بعد وعثاء العمل ذلك هو قيصر فمتى يجود الزمان بمثله؟!» هنا يبلغ السيل الزبى وتطيش الجموع مرة اخرى ذاهبين الى كل مكان لحرق منازل «الخونة السفاكين » والآن وقد انفجر بركان الثورة واندلع لهيبها يستريح انتونى ويقول « لقد نفثت فيهم سمومى الحارة فلتفعل أفاعيلها ألا أيها الخراب العاجل قم على قدم وساق وليكن ما يكون.

يدخل بعد ذلك خادم أكتافيوس يحمل نبأ قدوم سيده الى رومه وقد اتخذ لنفسه لقب قيصر على اسمه الاصلى وان كان التاريخ لا يعرفه الا باسم «أغسطس» ثم ينتهى هذا الفصل بمنظر قصير على « سِنَّا » الشاعر وجماعة من الغوغاء يحسبونه سنا المتآمر فيفتكون به فتك الذئاب بالحمل الضعيف

بين الفصل الثالث والرابع من الرواية فترة لا تقل عن ثمانية أشهر حكم العالم الرومانى أثناءها «حكومة ثلاثية» مكونة من أنتونى وا كتافيوس وليبيداس وأما بروتاس وكاشياس ففرا من رومه أمام هذه الريح العاتية التى هبت فى وجوههم فانطلق الأول الى مقدونية. وولى الثانى وجهه الى الشام حيث جمع جموعه ونظم شؤونه وعبر بما استمد من قوة وجيش من جند الى بلاد اليونان وهناك اتحدت قواته بقوات صاحبه بروتاس

يطلع هذا الفصل الرابع وأنتونى وا كتافيوس وليبيداس جلوس حول منضدة يتقاسمون الرأى فيمن يجب اعدامهم وفى خير ما يتخذ من العدة للقاء أعدائهم الباغين ويحملنا المنظر الثانى الى معسكر بقرب «سارديس» حيث نرى بروتاس

وكاشياس واقفين وجهاً لوجه يتنــازعان ويتشادان ويــترامَيان بلواذع الـكلم وسبب ذلك أن كاشياس غضب من بروتاس لحكمه على «لوشياس بيلا» وتشهيره به من أجل الرشوة بالرغم مما أرسله كاشياس اليه من رسائل التماس الصفح عنــه زاعماً أن من الحكمة ألا يشنع بكل ذنب طفيف فى ظروف كالتى هم فيها ولكن بروتاس الذى لاتلين نزاهته ولاتفتر للدنايا كراهته ولا ترحم المجرمين صراحته لا يعبأ بالظروف ولا يبالى بالاشخاص وتراه قد ذهب الى أبعد من ذلك فانحط على كاشياس بصراحته القاسية ورماه بتهمة الرشوة فى وجهه ولحــاه على ذلك وعنفه وذكره بما كان من قتلهم ذلك «المليك الفذ» وبأنه لا يليق بقاتليه أن يدنسوا أناملهم برشوة سافلة فيتلظى كاشياس إثر ذلك تلظيا ويتلهب تلهبــا وينصح ابروتاس أن يرحم نفسه بالسكوت ويهدده بما قد يصدر منه لو تمادى فى ايغار صدره ثم يفخر بأنه جندى «أكبر حنكة وأطول باعاً» منه واقدر على وضع نظمه بنفسه فــلا يتلقــاه بروتاس الا بالسخرية المرة ولا يشهد ثورته الا بالاستخفاف والتهكم ثم يأخذ فى بسط ألمه وشكواه من كاشياس وقد طلب منه شيئا من المال ينقد به جيوشه فبخل عليه به ولم يجبه اليه فينكر كاشياس دعوى صاحبه ويقسم انه منهــا براء ويتجلى بعد ذلك ضعفه حين يعاتبــه بصوت متهدج وقلب كسير على ماصدر منه ومن تجسيمه معايبه ثم يزفر زفرة من قد «أصبح تعبا ملولا من العيش» ويناديه ان «اغمد سيفك فى صدرى لتعلم أن الذى ضن بالمال قد جاد بالقلب» يرى بروتاس هذا الضعف ويلمسه فتهدأ نفسه وتذوب سخيمة قلبه ويدعو صاحبه الى قــدح نبيذ تغرق فيه آثار الشحناء وتحيــا به عناصر الحب القديم حتى اذا فرغا من احتسائه أخبر بروتاس صاحبه بموت «بورشيا» ذلك الخطب الجلل الذى يتصدع له قلب كل حبيب فــكيف بقلب زوجهــا الشفيق ويعجب كاشياس لنفسه كيف سلم من القتل لما كان يحاور صاحبه و يستفزه ويعانده

ولكن بروتاس رزين الحلم ثابت الوطأة واقع الطائر طيب الريح ترك الحزن يضرم فؤاده ويقض مضجعه وهو مع هذا محتمل نكبته غير تارك غصصه تهيمن عليه وتنسيه واجباته العامة لذلك تجده يبدأ بعد قليل فى مشاورة كاشياس فى خير الوسائل لمناهضة أنتونى واكتافيوس وهنا يختلفان فى الرأى اذ يرى كاشياس أن يربضوا جميعاً للعدو حتى يهاجمهم فى معاقلهم فيضنيه التعب وتذهب ريحه ويذهب بروتاس الى غير هذا اذ يشير بالرحيل الى « فيليباى » وملاقاته هناك وهى خطة مضرة لما تستدعيه من تضحيتهم مركزهم العالى الحصين ذلك الى ما ينالهم على طول الزحف من فتور فى القوى وضعف على الدفاع ولكن كاشياس « الجندى المحنك الماهر » لا يسعه الا ان يسلم أمام رأى صاحبه العنيد وإن كان ذلك الرأى أبعد ما يكون من الصواب ثم يفترقان على أتم حال من الصفاء والحب والولاء

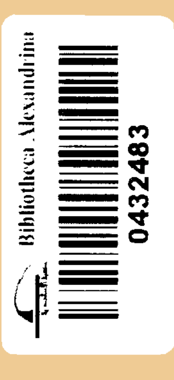
والآن نتريث قليلا أمام موطن من مواطن الجمال هنا يمنحنا شيكسبير مناظره وأمسها بشغاف القلوب ويرينا من آياته ماليس له مثيل فى سائر رواياته فنرى القائد الرومانى وقد أصبحت المعركة قاب قوسين أو أدنى لا يشغل نفسه بالمرور على قواد فرقه باثاً فيهم روح البشر والشجاعة والجلد كما فعل هنرى الخامس قبيل معركة «اجينكور» وانما تراه جالسا فى معسكره وغلامه « لوشياس » يغالب النعاس ويتماسك قليلا لئلا يقع تحت سلطان الكرى القاهر ويعالج العزف بقيثارته ارضاء لسيده وترفيها عنه ولكن سلطان الكرى « قاتل أثيم » لا يقاومه الشباب النضير ولا يقوى عليه من لا يقوى على الهم والتفكير فيطرق « لوشياس» ويغفى اغفاء الهاجد الهاجع ويبصره سيده فيرحمه ويصرفه الى فراشه وهو عليه حدب وبه بار كريم فياله من عطف وياله من قلب رحيم ! بروتاس الذى لم يعرف كيف يتردد لحظة حين دعاه الواجب ونادته الوطنية الى دفن خنجره فى صدر قيصر حبيبه لا يستطيع الساعة أن يوقظ هذا الغلام الناعس

ولا يسعه الا أن ينظر اليه بمين الأم الرؤوم ثم ينصرف بروتاس الى مطالعة كتابه فيبدو لناظريه فى الحال شبح قيصر فترتعد فرائصه فرقا ويطير له فزعا ولكن سرعان ما يعود فيسترجع حواسه ويملك نفسه التى طارت شعاعا ويسأل الشبح عن شأنه ومقدمه فلا يجيبه بغير «انك سترانى مرة أخرى فى فيليباى» حينذاك يخرج الشبح وينهض بروتاس من مجثمه وينادى خدمه لينصحوا حتى اذا صحوا بعث باثنين منهما الى كاشياس مشيرا عليه بالزحف على العدو وملاقاته فى الصباح فيتم ما يريد وتدور فى «فيليباى» رحى معركتين اثنتين رأى شكسبير أن يدمجها فى واحدة حتى يكون السبك الروائى أدنى ما يكون من الكمال وقبل أن يشتبك الفريقان فى هذه الحرب العبوس يبرز قواد كل جانب مريدين « الخطاب قبل الضراب » وان كانت الأعنة لاشك قاصرة والأسنة لا محال مشتجرة وهنا المرة الأخيرة يقف كاشياس جنب بروتاس معلنا انه أبهج ما يكون نفساً وهو فى الحقيقة أصبح فريسة الطيرة والفأل وأما صاحبه فهو أهدأ ما يكون روعا وأثبت ما يكون جنانا ركاب الهول بسام وأوجه الموت عوابس والآن قد حانت ساعة الوداع وآن وقت الفراق «فان التقينا هللنا بالبشر والفرح والا فقد تم لنا الوداع» ثم يذهب كل منهما الى قيادة جنده وتبدأ المعركة فيسطع الرهج من سنابك الخيل وتصلصل الدروع من وقع البيض ويتصادم الابطال ويتبارز الرجال . وتقبل الآجال تفترس الآمال حتى اذا انجلى العثير تجـلى بروتاس فائزا على خصمه اكتـافيوس ورأيت جنده وقـد تملكتهم نشوة النصر أرخوا لانفسهم العنـان فى النهب والسلب بدل انصرافهم جميعا الى معاونة كاشياس وقد ضيق عليه أنتونى الخناق حتى الجأه الى الفرار وردجنوده على أعقابهم لا يلوى آخرهم على أولهم وأخيرا تبصر كاشياس قـد استمسك بتل أمين وبعث « بتيتنياس» أحد ضباطه ليرى ما اذا كانت الجيوش الزاحفة عليه جيوش عدو أم جيوش حبيب وأمر « بنداراس » باعتلاء ذروة التل ومراقبة « تيتنياس » فى تنفيذ ما وكل اليه وهنا يخطىء

« بنداراس » خطأة شنيعة قاتله اذيسىء الفهم والتأويل حين يرى شرذمة من فرسان بروتاس يركضون ركضا ويقابلون تيتنياس فى الطريق فيصيحون فرحا ويهتفون بالنصر فيحسبها الأحمق جند الأعداء قد ألقت القبض على رسول سيده حينذاك يتغلغل اليأس الى كل نفس ويجأر كاشياس ويضجر من ضيعة الأمل وخيبة الرجاء فيدعو خادمه بنداراس ويتوسل اليه أن يدفن خنجره فى صدره هكذا يموت وفى فمه « قيصر ! لقد تم لك الثأر وبنفس الخنجر الذى طُعنت به » والآن وقد سبق السيف العذل يعود تيتنياس وفى صحبته « ميسالا » حتى اذا بصر بصاحبه قتيلا برحه الهم ورشق بخنجره صدره وخر جنبه صريعاً فيفر ميسالا الى بروتاس ويقرع آذانه بوقع هذا الخبر الفاجع ويأتى بهالتأكد من نبأ لا مرية فيه فيرى بروتاس الجثتين هامدتين لاحراك بهما ولا حياة فيقف واجماً منكس البصر خاشع الطرف قد فت الحزن فى عضده وكسر فى ذرعه ثم يعود بحرقه اليأس الى ساحة الوغى وقد انطفأ سراج الأمل فيجرى الحظ على غير ما يهوى وتنصب الهزائم على جنده تترى ويطفح كاس اليأس من قلبه الحزين وما أخلصه قلبا وما أملاه للهم وعاء . . ولا يسعه الا ان يحتذى مثل كاشياس فيقذف بنفسه فى بحر الموت بلا تريث ولا استبطاء عند ذاك تضع الحرب أوزارها وتنتهى الرواية بالثناء على شخصية بروتاس الطاهرة وحياته الصالحة فيدعوه انتونى بأشرف الرومان جميعا ويعجب بشهامته ووطنيته اكتافيوس ويقول : « لنقم له فى خيمتى جميع مراسم العزاء وشعائر الحداد » وخير المدح ما صدر من الأعداء

والآن وقد زالت آمال وحميت أخرى يسقط الستار على خير مأساة أخرجت للناس




Bibliotheca Alexandrina
04332483